# الجزيــرة المجهولــة

الجزء الأول

رضوان شكري

الإيداع القانوني: 2019 MO 1016

ردمك: 978-9920-9897-1-8

مطبعة الخليج العربي

152، شارع الحسن الثاني تطوان

الهاتف: 25 02 71 39 05

البريد الإلكتروني: alkhalijalarabi@gmail.com

© كل الحقوق محفوظة 2019

www.bubok.es/autores/redouane

# إهداء

أهدي كتابي إلى كلّ الذين يحبّون السّفر بخيالهم إلى ما بعد حدود الفكر، دون أن توقفهم أيّ جدران من الواقع الذي قد يكون مليئا بالأوهام التي تخفي الكثير من الحقائق، فالخيال قد يفتح أبوابا تمّ إيهامنا بعدم وجودها، وأحسن البعض إخفاءها عن أنظارنا كما تخفي الشمس عنّا النّجوم، فمن يُطيل التأمّل في السّماء سوف يراها بعد غروبها. إنّ ما نبصره في لحظة ما قد لا يمثّل الواقع بالكامل، ومن ينظر إلى الأشياء بمنظوره الخاص قد يكتشف أشياء ظلّت مخفيّة عنّا لعدّة عقود. لهذا افتح خيالك، وتخلّص من جميع القيود الوهميّة ولو قليلا كي ترى بفكرك ما لا تستطيع رؤيته في البداية بعينيك، فالفكر الحرّ قد يجعلك تلمس العالم المخفي وتحسّ بقوّة بوجوده بالرغم من أنّك لم تراه في الواقع، وربّما قد تتأكّد يوما ما من حقيقته فلن تتعجّب آنذاك بعكس الكثير من النّاس...

## تقديـــم

إذا كنت تعتقد أنه بإمكانك الذهاب إلى أي جزيرة موجودة فوق هذه الكرة الأرضية، اعتمادا على الخرائط الموجودة حاليا بين يديك، والتي وضعها العلماء منذ القديم، فإن اعتقادك خاطئ. فجميع الخرائط التي بإمكانك ابتياعها من المحلات التجارية لن توصلك أبدا إلى الجزيرة المجهولة، هذه الجزيرة لا يعرف بوجودها سوى سكانها ولا مجال للوصول إليها حتى ولو حصلت على الخريطة التي تبين مكان تواجدها. إنها جزيرة لا كباقي الجزر، جزيرة لها أسرارها، لا أحد يعرفها ماعدا سكانها، وكل من حاول سبر أسرارها ضاع في المكان والزمان وهو يبحث عنها، لذلك أطلق عليها اسم "الجزيرة المجهولة".

ـ المقدمة:

يحكى منذ زمن بعيد جدّا أن هناك جزيرة وسط مثلث برمودا، يطلق عليها اسم الجزيرة المجهولة، مساحتها أصغــر بقليل من مساحة مثلث برمودا، فلا أحد من علماء الكرة الأرضية متأكد من وجودها، فهي غير موجودة على أي خريطة في العالم، ولا يعرف بوجودها إلا سكانها الذين لا يتجاوز عددهم بضعة آلاف فقط، والعديد منهم غادرها في سبيل تحقيق أهداف محدّدة لتغيير حياة سكان تلك الجزيرة المجهولة.

إن الحياة فوق الجزيرة المجهولة بدأت منذ حوالي آلاف السنين، حيث كان سكّان الجزيرة يعيشون فيها تقدّما علميا هائلا حال دون اكتشافها، وربّما ستزيد قوّتها على يد الطفل المعجزة. أجل، إنه معجزة، فمنذ صغره كان نابغا في جميع المواد العلمية وخاصّة مادة الكيمياء، وتمّ التأكد من عبقريته حينما توصّل إلى اختراع كيميائي، فهل سيغيّر ذلك الاختراع الكيميائي فعلا حياة سكان الجزيرة المجهولة؟ وهل سيصبح بذلك عالما ضمن باقي علماء تلك الجزيرة؟

ابتداء من ولادته سنبدأ بسرد قصة الجزيرة المجهولة، ومنهم من كان يطلق عليها اسم جزيرة العلوم، وستعرفون بأنفسكم لماذا أطلقوا عليها هذا الاسم، لكن الآن سنبدأ قصتنا من اليوم الذي ازداد فيه الطفل المعجزة المسمّى:"أمين".

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

جلس الشاب جمال على الأريكة وعلامات القلق بادية على وجهه، لقد كان شابا وسيما، وكلّ الفتيات تمنين الزواج به لا لجماله فحسب بل لطيبوبة قلبه وإنسانيته اتجاه الجميع، فهذه الميزات وغيرها هي التي جعلت زوجته رقية أن تحبه حبا عميقا وترتبط به رابطة أبدية من حيث المبدأ.

كان جمال يبلغ السادسة والعشرين من عمره، بينما كانت زوجته تبلغ العشرين من عمرها، وهي أيضا كانت جميلة وجذابة للغاية، دون أن ننسى حنانها وعطفها على المحتاجين.

أجل لقد كان الشاب جمال قلقا لأن زوجته كانت بداخل الغرفة برفقة الممرضة سعاد المتخصصة في الولادة. فانتظار ازدياد مولود له جعله يحس بالخوف وهو الشعور الذي لم يحس بمثله من قبل، إنّه شعور غريب شيئا ما، لكن الأمر عادي في مثل هذه الظروف.

بينما كان جمال جالسا على الأريكة سمع صوت طرق الباب، فقام من مكانه بسرعة واتّجه لفتح الباب، وبمجرّد أن فتحها ابتسم ابتسامة سرعان ما اختفت

حينما تذكّر زوجته، وهمّ قائلا بصوت يعتريه الحزن مرحّبا بضيفه:

ـ أهلا وسهلا بك يا أخي!

دخل عبد الواحد وأغلق الباب وراءه بهدوء، ثمّ لحق بأخيه جمال الذي عاد وجلس من جديد على الأريكة وقال له متسائلا:

ـ هل هناك من خبر جديد حول زوجتك؟ وكيف حالها؟

نظر جمال نظرة قلق وارتياب إلى أخيه عبد الواحد ثمّ أردف قائلا:

ـ إنّها برفقة الممرضة، ولا أعرف ما الذي يحدث بالدّاخل، لقد مرّت ساعة من الزمن وأنا أنتظر بفارغ الصبر.

اقترب عبد الواحد من أخيه وربت على كتفيه قائلا:

ـ لا داعي للقلق، سوف تنجب لك طفلا رائعا وسوف تكون بألف خير إن شاء الله.

ردّ جمال والأمل ينبعث من عينيه السوداوين:

ـ أتمنّى ذلك من أعماق قلبي.

وبمجرّد أن انتهى جمال من كلامه، خرجت الممرّضة سعاد من الغرفة فرحة والابتسامة مرسومة على شفتيها. اقتربت من جمال وعبد الواحد بخطوات ثقيلة ثمّ قالت بصوت تنبعث منه نغمة الفرح والسّرور:

ــ ألف مبروك سيدي جمال، لقد أنجبت ذكرا في منتهى الجمال.

فرح جمال عند سماع الخبر وكاد أن يطير من شدّة السّعادة وأردف قائلا للممرضة:

ــ شكرا جزيلا لكِ.

تابعت الممرضة كلامها وهي مبتسمة:

ــ يمكنك الدّخول لرؤية ابنك، إنّه بخير.

آنذاك سارع عبد الواحد وهنّأ أخاه والسرور بادي على ملامح وجهه قائلا:

ــ هنيئا لك يا أخي، أتمنّى له حياة سعيدة وعمرا مديدا.

شكر جمال أخاه ثمّ توجّه إلى الغرفة بخطوات سريعة ودقّات قلبه تتسارع داخل صدره من شدّة الفرح.

دخل جمال إلى الغرفة بهدوء، لقد كانت غرفة واسعة ومرتبة، وأثاثها كان من النوع القديم، ثم نظر إلى زوجته رقية نظرة عطف وحنان، وقال لها وفرحته لا توصف:

ـ حمداً لله على سلامتك يا عزيزتي.

التفت جمال إلى سرير الأطفال الموجود بالجانب الأيسر لزوجته، واقترب منه بخطى بطيئة وقد غمرته رغبة وشوق كبيرين لرؤية طفله الذي مايزال مغمضا عينيه ويغط في نوم عميق، فانحنى شيئا ما وحمله بين يديه بحنان ولطف ثمّ قبّل خدّه الأيمن وقال بصوت منخفض:

ـ إنّه طفل جميل وملامحه تشبه ملامحكِ إلى حدّ كبير يا زوجتي العزيزة.

ابتسمت رقية عند سماع كلام زوجها وردّت عليه فورا:

ـ كلا، إنّه يشبهك أنتَ يا زوجي الوسيم، هيّا تامّل جيّدا وجهه وخصوصا عينيه وأنفه الصغير.

ضحك جمال من أعماق قلبه وأرجع الطفل إلى السّرير بلطف كبير ثم أجابها:

ـ في الحقيقة إنّه يشبهنا معا، فقد ورث الملامح منا نحن الاثنين، والأهم من ذلك إنّه بصحّة جيّدة والحمد لله.

ابتسمت رقيّة من جديد وقالت:

ـ سوف نسمّيه أمين كما اقترح عليك أخوك عبد الواحد.

اقترب جمال من زوجته وقبّلها على خدّها ثمّ قال:

ـ أجل، إنّه اسم جميل لابننا الوسيم، من الآن فصاعدا سوف نناديه بأمين.

تابع جمال كلامه وهو ينظر إلى زوجته بحنان:

ـ الآن سوف أتركُكِ كي تستريحي، سأشتاق إليك بسرعة يا عزيزتي وكأنّني سوف أسافر بعيدا عنك.

ضحكت رقية وهي تحاول التوقف عن الضحك بوضع يدها اليمنى على فمها ويدها اليسرى فوق بطنها كي لا تحسّ بالألم، ثمّ قالت:

ـ وأنا أيضا سوف أشتاق إليك سريعا لكن يجب عليك الذهاب للقيام بأعمالك الخاصة.

نظر جمال إلى زوجته بابتسامة عريضة وقال:

ـ حسنا، سوف أراك عند حلول الليل إن شاء الله، إلى اللقاء يا عزيزتي.

ردّت رقية بصوت منخفض:

ـ إلى اللقاء يا عزيزي.

خرج جمال من الغرفة ونظرات زوجته له لم تفارقه إلى غاية إغلاقه باب الغرفة من ورائه، متمنّية له السلامة في أعماقها، ودون أن تنبس بكلمة إضافية.

تقدّم عبد الواحد باتّجاه أخيه جمال وقال له بصوت عال شيئا ما:

ـ لقد اقترب وقت الاجتماع مع القادة العسكريين ويجب أن لا نتأخّر عن الموعد كما تعلم.

ـ طبعا، إنّه اجتماع بالغ الأهمية. هيّا بنا دون أن نضيّع المزيد من الوقت.

هرول جمال باتّجاه الباب وفتحها، ثمّ خرج من المنزل وتبعه أخوه بخطوات هادئة، وما أن همّ بإقفال الباب من ورائهما حتّى فاجأته الممرّضة قائلة:

ـ هل سأظلّ هنا إلى حين عودتك يا سيّدي؟

ـ أجل، أجل، يجب أن تظلّي برفقة زوجتي إلى غاية عودتي أو عند مجيء الخادمة سلوى.

ـ ردّت الممرّضة بتفهّم: كما تشاء يا سيّدي، إلى اللقاء.

ـ أجاب جمال مبتسما: إلى اللقاء.

حينذاك أغلقت الممرّضة الباب بعد مغادرتهما، وذهبت إلى الغرفة حيث توجد السيّدة رقيّة.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

توجّه جمال وعبد الواحد إلى مقر الاجتماع المتواجد وسط الجزيرة المجهولة تحت الأرض، فقد كان مكانا سريّا لا يعلم بوجوده إلا الأشخاص العاملين هناك، فقد كان المكان مجهّزا بتكنولوجيا لم تعرف البشرية مثلها حتى في زمننا الحالي رغم التكنولوجيا المتوفرة حاليا والتي مصدرها بشكل أو آخر هو هذه الجزيرة المجهولة.

لقد كان جمال وعبد الواحد يحسّان بقلق نوعا ما من جدول أعمال الاجتماع الذي كانا يجهلان موضوعه،

فالفضول لازمهما طيلة الأيّام القليلة الماضية حينما تم استدعاءهما لحضوره.

بعد ساعة من الزمن وصلا إلى بناية ضخمة كانت تضمّ أشخاصا من عسكريين برتب عليا ومدنيين من مختلف التخصّصات. وقبل ولوجهما لبناية الاجتماع تبادلا السّلام مع مجموعة من زملاء العمل بكلّ احترام وبابتسامة لم تفارق محيّاهما بالرغم من قلقهما اللذان أحسنا إخفاءه نظرا لخبرتهما ودرجة تعلّمهما للسيطرة على أحاسيسهما بشكل قلّ نظيره في عصرنا الحالي.

فتح أحد الحرّاس الأمنيين باب القاعة بمجرّد رؤيتهما، فتبادلا التحيّة معه بإيماءة من رأسهما، ثمّ دخلا إلى هناك حيث كان المكان واسعا جدّا ومجهّزا بأجهزة لم تعرف الإنسانية مثلها إلى غاية كتابة هذه الأسطر، لقد كانت القاعة دائرية الشكل تضم العديد من الكراسي الفاخرة ومكاتب خشبية من النوع الرفيع.

في تلك اللحظة اقترب منهما رجل في الأربعين من عمره ودعاهما إلى الجلوس في المكان المخصّص لهما، لم يتردّدا ولو لوهلة واحدة فجلسا بالجانب الأيمن في الصف الأوّل، وقد كانت بجانبهما امرأة في

الثلاثين من عمرها ذات شعر حريري أصفر اللون ترتدي لباسا عسكريا، وقد قامت بتوجيه التحيّة العسكرية لهما بيدها وردّا السّلام عليها بابتسامة عريضة وكأنّهما يعرفانها منذ زمن طويل.

فجأة، دخل رجل كبير السّن شيئا ما، طويل القامة وقويّ البنية، كان بزيّ عسكري برتبة جنرال، كان يحمل بيده حقيبة سوداء، حيث جلس الحاضرون في مكانهم وعمّ الصّمت في القاعة للحظات قبل أن يبدأ الحديث قائلا:

ـ أولا وقبل كلّ شيء أرحّب بالحاضرين معنا وأشكر جميع الأشخاص الذين سهروا على تنظيم هذا الاجتماع. لقد اضطررنا إلى عقد هذا الاجتماع لطرح المشكل الذي قد نتعرّض له مستقبلا؛ فكما تعلمون أن المنتوجات الفلاحية للجزيرة التي نعيش فيها لن تحقّق الاكتفاء الذاتي لساكنتها خلال الثلاثين سنة المقبلة، الأمر الذي يتطلّب إيجاد حلّ لهذه المعضلة، وخاصّة أنّه لا يمكن الحصول على حاجياتنا من مكان خارج الجزيرة لما يشكّله ذلك من خطر معرفة تواجدنا على هذه الجزيرة المجهولة، والتي ظلّت كذلك بفضل

التكنولوجيا التي نمتلكها والتي تمنع الوصول إليها بأيّ شكل من الأشكال، وذلك بالرغم من المحاولات المتكرّة من العالم الآخر من سبر أسرار مثلث برمودا بجميع السبل التي باءت بالفشل بفضل التكنولوجيا التي نمتلكها، لكن الخطر سوف يتزايد إذا اضطررنا لإحضار المنتوجات الفلاحية من خارج الجزيرة وما يشكّله ذلك من خطر على الذين سوف يقومون بهذه المهمّة إذا تمّ الإمساك بهم وخاصّة عند ربط الاتصّال بشكل دائم مع عملائنا خارج الجزيرة، وذلك نظرا للشكوك الكثيرة التي صارت تحوم حول ما يوجد بمثلث برمودا. لن أطيل الحديث كثيرا عن هذا الأمر، لكن ما أريده هو أن نقوم جميعا باقتراح الحلول قبل الوقوع في هذا المأزق خلال السنوات المقبلة، وأرجو أن نتوفّق في إيجاد حلّ لهذه الإشكالية التي أصبحت تشغل بالنا أكثر قبل أي وقت مضى. وفي الأخير سوف نوزّع عليكم فورا الأوراق التي تتضمن جميع المعلومات التي قد تحتاجونها للقيام بما يجب مستقبلا.

أنهى الجنرال سفيان حديثه، وارتفع صوت التصفيقات الحارة بالقاعة للحظات قبل أن يعود الهدوء النسبي إليها.

قام مجموعة من مسيّري الاجتماع بتوزيع الأوراق على الحاضرين قبل انصرافهم.

وخلال دقائق معدودة انتهى الاجتماع الذي لم يستغرق الكثير من الوقت كما هو الشأن عادة في الاجتماعات خارج الجزيرة.

خرج جمال وعبد الواحد من قاعة الاجتماع، ثمّ غادرا البناية برفقة تلك السيدة ذات الشعر الحريري الأصفر التي كانت جالسة بالقرب منهما، ثمّ وقف الثلاثة وبدأوا يتبادلون أطراف الحديث ممّا يثبث الصّداقة التي تجمع بينهم. سارع جمال إلى مخاطبة السيّدة قائلا:

ـ ما رأيك يا ملاك بما قاله الجنرال سفيان ؟

رفعت ملاك رأسها ووضعت يدها حول ذقنها قبل أن تردف قائلة بكل ثقة في النفس:

ـ إنّ الأمر ليس بالصّعوبة التي يتصوّرها الجميع.

تعجّب جمال من كلامها ثمّ سألها:

ـ وكيف ذلك؟

ضحكت ملاك بصوت مرتفع شيئا ما قبل أن تردّ بشكل يثير الاستغراب نوعا ما:

ـ ابنك سوف يكون هو المفتاح الذهبي للمشكل المطروح، إنه سوف يشبه أجداده، فأجدادكم يا جمال هم من اخترعوا التكنولوجيا التي جعلت هذه الجزيرة محصّنة ضد مخاطر العالم الخارجي، أنا لديّ إحساس قويّ أن ابنك سوف يجد الحلّ في الوقت المناسب، فلا داعي للقلق كثيرا.

نظر عبد الواحد إلى ملاك نظرة استغراب قبل أن يتدخّل قائلا:

ـ وما الذي يجعلك متأكّدة إلى هذه الدّرجة؟

أجابت ملاك باقتضاب دون أن تفكّر في الأمر مرّتين:

ـ إنّه الحدس يا صديقي !

أضاف عبد الواحد قائلا:

ـ إنّك واثقة من نفسك كما عرفتك منذ أولّ يوم، إن شخصيتك قويّة ولك نظرة ثاقبة للمستقبل، ومع ذلك أتعجّب شيئا ما من حديثك، لكن كلّ شيء سوف يؤكّده المستقبل فلا داعي للعجلة.

أكّد جمال القول الأخير لأخيه بقوله:

ـ أجل، الوقت كفيل بنفي أو تأكيد ما قالته ملاك.

ـ حسنا، سوف أترككما الآن وسنلتقي قريبا إن شاء الله.

سلّمت ملاك عليهما وقالت:

ـ إلى اللقاء.

ابتعدت ملاك عنهما قليلا ثم ردّا عليها قائلان:

ـ إلى اللقاء يا ملاك.

وقفت ملاك لبرهة موجّهة لهما التحيّة العسكرية والابتسامة لم تفارق شفتيها، ثم ذهبت إلى حال سبيلها.

نظر جمال إلى أخيه وقال:

ـ إنّها في غاية الذكاء.

ضحك عبد الواحد وأضاف قائلا:

ـ إنّها في غاية الجمال كذلك.

ابتسم جمال ابتسامة خفيفة ثمّ قال:

ـ هيّا بنا، الوقت يمرّ بسرعة وزوجتي ستكون بانتظاري.

أكّد عبد الواحد قوله:

ـ أجل، الوقت هذه الأيّام يمرّ بسرعة البرق، هيا نغادر المكان، فأنا بدوري أصدقائي بانتظاري.

هكذا انطلق كلّ منهما إلى هدفه ضاربين موعدا للقاء قريب بينهما.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت المقهى شبه فارغة، لم يكن هناك سوى ثلاثة رجال جالسين حول طاولة دائرية الشكل، وصوت قهقهاتهم يسمع من بعيد.

اقترب عبد الواحد منهم بخطى سريعة وكلّه ثقة وشغف لمعرفة سبب ضحكاتهم التي تنقلها الرياح إلى أبعد مكان في تلك الجزيرة المجهولة.

جلس عبد الواحد على كرسي قائلا بصوت مرتفع:

ـ مساء الخير يا أصدقاء!

التفت الثلاثة إلى صديقهم عبد الواحد قائلين له:

ـ مساء الخير!

نظر الشاب الذي كان يجلس على يمين عبد الواحد وقال رابتا على كتفه:

ـ وأخيرا أتيت، لقد تأخرت قليلا عن الموعد.

ـ أجل يا عبد الحميد، لقد كنت في اجتماع مهم، لذا أعتذر عن تأخري.

ضحك الرجل الذي كان يجلس على يساره والمسمى سعيد الذي يعمل في الاستخبارات، ثم قال مبتسما:

ـ لا داعي للاعتذار، فنحن نعرف أهمية العمل الذي تقوم به أنت وأخوك جمال، وبالمناسبة هل أنجبت زوجته؟

أجاب عبد الواحد والفرحة تمتزج بشيء من الحزن:

ـ أجل، أجل، لقد أنجبت ذكرا.

فرح سعيد عند سماع الخبر وقال:

ـ ألف مبروك، أتمنى له حياة سعيدة فوق هذه الجزيرة.

ضحك الرجل الثالث المدعو ربيع وقال:

ـ وأخيرا جاء الطفل الذي سوف يدخل الفرحة في قلب أخيك جمال.

ابتسم عبد الواحد محاولا إخفاء قلقه الناتج عن الاجتماع الأخير وقال:

ـ أتمنى له حياة هنيئة فوق هذه الجزيرة. والآن دعونا نتحدث عن الأخبار التي تمتلكونها عن العالم الآخر، فهل هناك من خبر جديد يا سعيد؟

سافر سعيد بتفكيره بعيدا لثواني قبل أن يعود محاولا الإجابة عن السؤال قائلا:

ـ في الحقيقة الأمور هناك تسير من السيّء إلى الأسوأ، فاستخباراتنا في جميع أنحاء العالم بدأت تفقد القدرة على تسيير الأمور كما نريد، إذ أنّ الحكومات في العديد من الدّول خيّبت أمالنا وطموحاتنا التي

وضعناها منذ عقود، كما بدأت المنظمات الشعبية السريّة المعادية للعولمة والمناهضة للحريّة باكتشاف بعض من عملائنا عبر العالم، كما تمت تصفية بعض منهم، لقد استطاعت تلك المنظمات من اختراق العديد من شبكاتنا عبر العالم، الشيء الذي جعل استخباراتنا تضطر للقيام ببعض التعديلات على طريقة تسيير الحكومات بعد اكتشاف بعض من وسائلنا.

أحسّ الجميع بخوف يسري في جسمهم فتجمّد الدّم في عروقهم بمجرّد سماع ما قاله لهم السيد سعيد الذي يعدّ اليد اليمنى لرئيس الاستخبارات العسكرية.

مرّت لحظات من الصّمت الرهيب قبل أن يتدخّل عبد الحميد قائلا:

ـ وماذا عن التكنولوجيا ووسائل الاتّصالات الحديثة التي أرسلناها لعملائنا العسكريين في أنحاء شتى في العالم؟

اتّجهت العيون إلى الشاب سعيد الذي بدأ يوضح الأمر بصوت منخفض حتى لا يكون مسموعا نظرا لسرّيته:

ـ أجل، فقد بدأ العمل بالهواتف الذكيّة ووسائل التواصل الاجتماعي في جميع أنحاء العالم، وقد بدأت النتائج تتحقّق ولو نسبيا؛ فقد حاولنا توعية الشعوب بحقوقها والعمل ما أمكن على مساعدتها في التحرّر من العبودية والدكتاتورية، ومع ذلك ماتزال ساذجة وتثق كثيرا بالأحزاب التي تتكلّم باسم الدّين، نظرا لكونها فقدت الثقة في الأحزاب الأخرى. كما أنّ الهدف الحقيقي للحكومات في الدول الدكتاتورية، والمعادية لحقوق الإنسان والحرية، هو استغلال التكنولوجيا التي زودناها بها في جانبها السلبي، كما أنّ تلك الحكومات تسعى جاهدة للبقاء في الحكم مدى الحياة وذلك باستخدام كل الطرق غير المشروعة، من خطف واعتقال وتعذيب وتهديد وغيرها من الوسائل اللاإنسانية، بدعوى أنها تدافع عن أوطانها من خلال إنشاء المنظمات الشعبية السريّة.

آنذاك تساءل عبد الواحد قائلا:

ـ وما الذي تنوي قيادتنا العسكرية القيام به؟

تنهّد سعيد الذي أحسّ بصعوبة الإجابة وقال:

ـ إنّنا ربّما سنضطرّ إلى الانسحاب والتسبب في حرب عالمية ثالثة للقضاء على أعدائنا، وإن كنّا سنخسر استثماراتنا وأبحاثنا السريّة هناك، وسنضطر للبدء من الصفر مرّة أخرى، لكن هذا لا يعني أننا الخاسرون، بل العكس، فقد حقّقنا العديد من الأهداف خلال العقود الماضية، بل سنظلّ الحاكم الفعلي فوق هذه الجزيرة إلى أن نصل إلى هدفنا المركزي والسري للغاية، والذي كنّا وما زلنا نرمي للوصول إليه رغم كلّ التحدّيات والصعوبات التي تعترضنا.

تعجّب عبد الواحد وأحس برغبة جامحة لمعرفة ذلك الهدف السرّي للغاية، فلم يتردّد في طرح السؤال على أمل معرفة الجواب عنه:

ـ وما هو هذا الهدف الأسمى الذي تريدون الوصول إليه؟

ضحك ربيع بصوت عال قبل أن يردف قائلا:

ـ كنت أعتقد أنك تعرف هذا السرّ بحكم عملك، وخاصّة بعد الاجتماع الأخير، لكن لا تقلق سوف تعرف السّبب الذي من أجله نقاتل خفية عن أنظار العالم

الخارجي، فنحن وحكّام هذه الجزيرة طموحنا هو أن نحقّق حياة أفضل لجميع سكانها دون أن نتخلّى على أي فرد منها مهما كان السّبب.

ردّ عبد الواحد والفضول يقتله لمعرفة كل التفاصيل:

ــ حسنا، سوف أعرف في الوقت المناسب.

ابتسم عبد الواحد وقال:

ــ الأمر أكيد يا صديقي، فلا داعي للعجلة.

تابع الأصدقاء حديثهم المشوّق وخاصة عن أخبار العالم الخارجي المليء بالمفاجآت.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

فتح جمال باب المنزل وعلامات التعب بادية على وجهه بعد الاجتماع الأخير، ثم توجّه مباشرة إلى الغرفة حيث تتواجد زوجته وابنه الرضيع.

دخل جمال الغرفة بهدوء وبخطى بطيئة حتى لا يزعجهما إذا ما كان النوم قد غلبهما. وما أن دخل حتى فاجأه صوت زوجته قائلة:

ـ مرحبا بك يا زوجي العزيز! لقد اشتقت إليك يا نور حياتي.

ابتسم جمال ابتسامة عريضة ثم ردّ عليها قائلا:

ـ مساء الفرح والسّرور يا زوجتي العزيزة، كيف حالك وحال ابننا العزيز؟

ـ إنّنا بخير والحمد لله.

اقترب جمال من زوجته وانحنى مقبّلا خدّها ثمّ سألها:

ـ هل تحتاجين شيئا ما؟

أجابت رقية بالنفي، ثمّ قالت:

ـ كيف مرّ الاجتماع يا عزيزي؟

راوغ جمال كي لا يقلقها بما تضمنه ذلك الاجتماع سائلا إياها:

ـ هل تحسّين بالجوع؟ وهل أرضعت ابننا الصغير؟

أجابت رقية بهدوء:

ـ لا تقلق فقد أعدّت لي الخادمة سلوى ما اشتهيت من طعام وشراب، كما أنّ ابنك يغطّ في نوم عميق بعد أن قمت بإرضاعه.

فرح جمال وأحسّ بالرّاحة تسري في جسده بعدما أنهك الاجتماع جسده وعقله، وقال:

ـ حسنا يا زوجتي، سوف أذهب لأتناول وجبة العشاء، وإن كنت أتمنى تناولها برفقتك.

ضحكت رقية والفرحة بادية على وجهها، ثم قالت:

ـ أيّام الله طويلة، سوف تملّ تناول الطعام برفقتي!

ضحك جمال وهو يضع يده على فمه حتى لا يوقظ ابنه، ثم قال:

ـ حسنا، سوف أذهب إلى المطبخ لأرى ماذا أعدّت لي سلوى.

خرج جمال من الغرفة بهدوء واتّجه إلى المطبخ لتناول وجبة العشاء.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

مرّت ست عشرة سنة بسرعة كبيرة، ومعها صار الطفل أمين شابا يدرس بالمعهد المتخصص في الكيمياء، لقد صار طالبا متفوّقا على جميع زملائه، وقد كان طفلا ذكيا جدا وخارقا للعادة، فقد تمكّن من المشي في شهره السادس، وتمكّن من الكلام في السنة الأولى من عمره، ونظرا لذكائه الباهر وتفوّقه الدراسي فقد تلقّى عناية كبيرة ولم يمر بجميع المراحل الدراسية ربحا للوقت، مادام مستواه العقلي لم يكن كزملائه في الدراسة، لذلك تمّ قبوله بالمعهد المتخصص في الكيمياء والذي طالما حلم ولوجه منذ أن كان طفلا صغيرا، وهو الأمر الذي تحقّق له بفضل الموهبة والذكاء الخارق الذين تمتّع بهما.

لقد كان الشاب أمين يعمل مع السيد ربيع صديق عمّه عبد الواحد، لقد كان أمين يتوفّر على كفاءة عالية، الأمر الذي جعل السيد ربيع يحرص على تلقينه جميع الأمور المتعلقة بالكيمياء ويمدّه بجميع كتب الكيمياء التي كان يحتاج إليها في عمله.

وفي أحد الأيّام، دعا السيّد ربيع الشاب أمين وأباه جمال إلى السّهر معه في منزله، وذلك من أجل إقامة

حفل صغير، كما دعا إليه مجموعة من الأصدقاء المقربين.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

في ليلة يوم الحفل، كان المنزل من الخارج مضاء بحبابات مختلفة الألوان، كما كان محاطا بعدّة رجال من الأمن والاستخبارات، ربما كان يرجع الأمر لأهميّة الأشخاص الذين سيحضرون ذلك الحفل.

وخلال ساعة من الزمن، بدأ يتوافد المدعوون الذي كانوا مندهشين من جمال وروعة أثاث المنزل، فبالرغم من حجمه المتوسط، فقد كان جميلا ومنظما بشكل يثير انتباه الحاضرين.

مرّت لحظات قليلة، ثم دخل عبد الواحد وبرفقته خطيبته العسكرية ملاك، كما حضر جمال وابنه أمين ومعهما كل من السيد سعيد وعبد الحميد، لكن لم يكن أحد من الحضور يتوقع حضور الجنرال سفيان الذي ولج إلى المنزل ومعه حرّاسه الشخصيون الذين وقفوا عند المدخل، إذا تابع الجنرال سفيان سيره بخطى ثقيلة وكلّه ثقة في النفس، فاقترب منه السيد ربيع

مرحبا به ترحيبا كبيرا ووجه تبدو عليه علامات الفرح والسرور.

ـ مرحبا بك يا سفيان، إنّه لشرف كبير لي أن أراك من بين الحضور.

سلّم سفيان على السيد ربيع وشكره على ترحيبه له بمنزله، ثم قال:

ـ أظنّ أن الحاضرين متفاجئون من وجودي بهذا الحفل الصّغير، لكن المفاجأة الكبيرة هي أنّ الحفل كان من اقتراحي شخصيا، وارتأيت تنظيمه هنا وبهذا الحضور القليل نظرا لأهميته الكبرى، فهذا الحفل أنظمه من أجل الشاب أمين الذي يشكّل أمل سكّان الجزيرة المجهولة بكاملها، لن أطيل في الحديث، سوف أترك السيّد ربيع يوضح لكم الأمر.

اندهش الحاضرون وخاصّة الشاب أمين الذي بدأت التساؤلات تتهاطل على فكره، ومع مرور كل ثانية يزداد فضوله في معرفة ما سيقوله لهم السيد ربيع، الذي بدا واثقا في نفسه، فبدأ كلامه قائلا:

ـ في البداية، أشكر الجنرال سفيان على الثقة التي منحها لي ولفريق عملي منذ سنوات مضت، كما أشكر الحاضرين. إن الأمر الذي سوف أقوله لكم اليوم هو أمر سريّ للغاية، ويجب أن يبقى كذلك وأن لا يعلم به أي شخص خارج حكومتنا المحلية، وخاصّة أن لا يعلم به أي شخص لا ينتمي إلى هذه الجزيرة، وأقصد هنا سكان العالم الخارجي الذين يعدّون العدوّ الكبير والخطر الأكبر على جزيرتنا ووجودنا بشكل خاص. فالسرّ هو أنّنا منذ آلاف السّنين ونحن نبحث عن مادة كيميائية سوف تمكّن كل من تناولها عن الاستغناء نهائيا عن تناول الطّعام، والاكتفاء فقط بشرب الماء الذي سوف يصير العنصر الوحيد المهم للبقاء على قيد الحياة دون الحاجة إلى الأكل.

اندهش الحاضرون عند سماعهم لكلام ربيع، فازدادت التساؤلات في نفوس الحاضرين، ومن بينهم عبد الواحد الذي سارع إلى طرح السؤال:

ـ وكيف سوف نستغني عن الطّعام الذي يعدّ ضروريا للوقاية من الأمراض ومقاومتها عند الإصابة بها؟

ابتسم ربيع عند سماع السؤال وأجاب بكل ثقة:

ـ هذا سؤال مهم للغاية، والجواب هو أننا منذ عقود توصّل فريق الأبحاث التابع لنا في العالم الخارجي إلى لقاح ضدّ جميع الأمراض التي يمكن أن يصاب بها الإنسان فوق هذا الكوكب الأزرق. وهذا اللقاح لن يكون مجديا ما دمنا نتناول الطّعام، لذلك قلت أن الأبحاث الآن ترتكز على اكتشاف المادة الكيميائية التي سوف تغنينا عن تناول الأكل والاقتصار فقط على شرب الماء الصالح للشرب. أتمنى أن يكون الأمر مفهوما للجميع، كما أتمنى أن نتوصّل إلى ذلك الحلّ بمساعدة الشاب الذكيّ أمين، الذي يعدّ الأمل الوحيد للتوصّل إلى ما نرمي إليه.

في تلك اللحظة تدخلّ الجنرال سفيان وقال:

ـ دعوني أخبركم أنّه إذا وافق الشاب أمين على القيام بهذه المهمّة سوف نرسله إلى العالم الخارجي ليلتحق بفريقنا السرّي وذلك بالولايات المتحدة الأمريكية التي تعد حكومة الظل هناك شريكنا الأساسي في هذا المشروع السرّي. كما لن أخفي الأمر، إن الوضع في العالم الخارجي قد يؤول إلى نهاية مأساوية في أيّة لحظة، وقد نفقد السيطرة على الأمور هناك، لكن

سوف لن نتخلى على سكّان الجزيرة العاملين خارجها كيفما كانت النتائج هناك، فكما يعلم الكثير من سكان جزيرتنا المجهولة، فإنّ تفوّقنا في التكنولوجيا سوف يساعدنا على إرجاعهم إلى الجزيرة بسرعة كبيرة لأننا لا نتخلى عن الأشخاص الذين يعملون من أجل مصلحة جزيرتنا.

وما أن انتهى الجنرال كلامه، صفّق الحاضرون بقوّة والابتسامة مرسومة على شفاههم.

وبعد التصفيق أخذ السيد ربيع الكلمة وأردف قائلا:

ـ هيّا، تناولوا الحلوى واشربوا ما شئتم من المشروبات مادام ذلك ممكنا الآن، ففي المستقبل القريب إن شاء الله سوف تفتقدونها.

ضحك الحاضرون وبدأوا في تناول الطعام والمشروبات بمختلف أنواعها.

اقترب ربيع من صديقه عبد الواحد وقال:

ـ الآن تعرف السبب الذي من أجله نقاتل خفية، أليس كذلك؟

ابتسم عبد الواحد وربت على كتف ربيع، ثم قال:

ـ أجل، وأخيرا بعد عدّة سنوات صرت أعرف السّبب، وأتمنى أن يتمكّن الشاب أمين من تحقيق المعجزة.

قال ربيع وكلّه ثقة في النفس:

ـ بالتأكيد سوف يحقّق حلمنا عمّا قريب.

أخذ أمين الحلوى وكأسا من العصير، ففاجأه الجنرال سفيان موجها له السؤال:

ـ أيها الشاب الذكي، هل قبلت الذهاب في المهمّة السريّة؟

استدار أمين إلى مصدر الصوت مبتسما، ثم قال دون تردّد:

ـ طبعا سأذهب، إنّ حلمي هو التوصّل إلى اكتشاف يغيّر مسار حياة سكان جزيرتنا، فأجدادي حسب علمي كان لهم دور مهم في كلّ الاختراعات والاكتشافات العلمية التي عرفتها الإنسانية، فلولا العلم لكان مصير سكان الجزيرة هو نفس مصير الهنود الحمر وغيرها من القبائل التي تعرضت للإبادة تحت الذرائع المختلفة،

فالأمل كبير كي نضمن البقاء للأجيال القادمة، والعيش في أمن وسلام، وإن كنّا قد تسببنا في حروب عدّة في العالم الخارجي من أجل تحقيق هدف نبيل للإنسانية جمعاء.

قاطع الجنرال سفيان الشاب أمين قائلا:

ـ أنا متّفق معك تماما، فأنت لا تعرف محاولاتنا المتكررة مع العالم الخارجي، في الماضي البعيد، لإقناعهم بضرورة التعاون معنا للوصول بالإنسانية إلى برّ الأمان. فبالرغم من إمدادنا لهم بالتكنولوجيا دون معرفتهم بذلك، فإنهم دائما يستخدمونها في الجانب السلبي، فقرّرنا البقاء في الظل حتى لا نتعرّض لخطر ما، فطريقة تدبير أمورهم دائما تنتهي بالمآسي، وبهذه الأخيرة صرنا نتعامل معهم لتحقيق أهدافنا، ولمعرفة التاريخ الحقيقي للحضارات فلدينا بالمكتبة العسكرية كل الكتب التي يمكنك الاطلاع فقط على جزء منها بسبب ضيق الوقت. سامحني على الإطالة، سوف أتركك تستمتع بالوقت مع أصدقائك وسوف نلتقي عما قريب قبل سفرك إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

أنهى الشاب أمين الحوار قائلا:

ـ أكيد سوف نلتقي، وشكرا على الثقة التي منحتني إياها.

ختم الجنرال حديثه قائلا:

ـ أنا أيضا أشكرك على حبّك لخدمة سكان الجزيرة دون تردّد، وأتمنى من أعماق قلبي أن تتوفّق في مهمتك دون أي صعوبات.

وبمجرّد أن أكمل الجنرال كلامه غادر المنزل وتبعه الحراس الشخصيون، فيما ذهب الشاب أمين إلى الجانب الأيسر حيث كان يتواجد السيّد ربيع وعمّه عبد الواحد.

اقترب أمين من عمّه بخطوات ثقيلة وفكره منشغل بخطاب السيد ربيع، وبالمهمّة الجديدة التي قبل خوض غمارها بالرغم من الأخطار المحيطة بها، لكن سرعان ما توقّف عن التفكير حينما فاجأه صوت "ملاك" من خلفه يقول:

ـ إذن أنت هو الشاب الذي كُلّف بالمهمّة السريّة، لقد سمعت عنك الكثير.

التفت أمين إلى الخلف وابتسم قائلا:

ـ أجل، أنا هو، أمّا أنا فأعرف عنكِ القليل وهو أنّك خطيبة عمّي عبد الواحد.

في تلك اللحظة تدخّل عمّه قائلا:

ـ سوف تصير زوجتي قريبا إن شاء الله، وكنت أتمنى أن تكون من الحاضرين في حفل زفافي، لكن مهمتك الجديدة هي الأهم من ذلك.

ردّ أمين وهو يتناول قطعة من الحلوى قائلا:

ـ أتمنى لك زواجا سعيدا وحياة هنيئة مع خطيبتك ملاك.

سارعت الشابة ملاك إلى شكره قائلة:

ـ شكرا لك يا أمين، أنا أيضا أتمنى لك التوفيق في مهمتك والرجوع بسرعة إلى وطنك وإلى أحضان أسرتك التي سوف تشتاق لك كثيرا.

أخذ عبد الواحد كأسا من العصير وقطعة من الحلوى، ثم أردف قائلا:

ـ سوف تكون مهمتك بمثابة النور الذي سوف ينير طريق سكّان هذه الجزيرة، وسوف نتابع أخبارك حتى

ولو كنت بعيدا عنّا، فأنت ابن أخي العزيز، فلن تهدأ نفوسنا حتى تعود سالما من مهمتك إن شاء الله.

تدخّل ربيع الذي ظلّ يتابع الحديث باهتمام بالغ وقال:

ـ لا داعي للقلق، فسوف أرافقه وسوف يعمل معي ضمن الفريق هناك، ولن أتركه لوحده.

تابع الأصدقاء حديثهم بكلّ هدوء، وعلامات الفرح هي الغالبة على محيّاهم بالرغم من صعوبة المهمّة التي تنتظرهم.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت السّاعة تشير إلى العاشرة ليلا من اليوم الموالي، ساد صمت رهيب في تلك الليلة، وكان الجوّ باردا نوعا ما، وكانت الرّياح تداعب أغصان الأشجار وأوراقها المائلة للصفرة، معظم سكان الجزيرة دخلوا بيوتهم المصنوعة من معدن لم نسمع به من قبل، يقال حسب الكلام المتداول بين أطفال الجزيرة أنه تمّ إحضاره من كوكب ليس بعيدا عن الأرض، ربّما سمع الأطفال آباءهم يتحدثون عن ذلك، أو ربّما تم تسريب الخبر من أحد العسكريين فانتشر الخبر بسرعة بين

سكان الجزيرة، فالأخبار تتناقل بسرعة البرق كما هو الأمر في جميع أنحاء العالم، وخاصّة مع التقدم العلمي الذي انبثق من الجزيرة المجهولة دون علم سكان باقي العالم بذلك، أو بعلم بعض الأطراف التابعة لحكومة الظل، لكن ليس هناك شخص يتجرّأ على قول الحقيقة خوفا من المصير الحتمي، وحتّى إذا نقل الخبر لن يصدّقه أحد ولربّما تم اتّهامه بالجنون، لذا من الأفضل التزام الصمت لحين تكشّف الأمور بشكل أو بآخر.

كان الشاب أمين جالسا فوق الأريكة، وفي يده كتاب خاص بالكيمياء، فهو لا يضيّع دقيقة واحدة في الترفيه، فعقله وفكره منشغل منذ الطفولة بكتب الكيمياء، وصار هدفه وهمّه الوحيد هو تحقيق المعجزة التي طال انتظار حدوثها، وصار أمين اليوم مطالبا بتحقيقها وفي أقرب وقت ممكن حتى يتمكّن سكّان الجزيرة من العيش في أمن وسلام وبعيدا عن الخطر الذي أصبح يهدّد العالم الخارجي.

بينما كان أمين منهمكا في قراءة كتابه، سمع صوت طرق الباب، فأسرع لفتح الباب بعد أن وضع كتابه فوق طاولة زجاجية كانت بمحاذاة الأريكة.

تفاجأ أمين حينما رأى والده وبرفقته الجنرال سفيان، فأفسح لهما الطريق للدخول قائلا:

ـ مرحبا، تفضلا بالدّخول.

ولج جمال منزل ابنه وتبعه فورا الجنرال سفيان الذي ما أن دخل حتى أثار انتباهه الخزانة الزجاجية المليئة بالكتب التي كانت في الركن الأيمن من البهو.

جلس والد أمين على الأريكة، بينما ظل سفيان واقفا بالقرب من الخزانة يتأمّل الكتب المختلفة والمنظّمة بشكل رهيب، فجأة استدار حيث كان أمين واقفا وسأله بصوت مرتفع شيئا ما:

ـ إني أراك مهتما كثيرا بعلم الكيمياء، ولديك الكثير من الكتب في هذا المجال.

ـ أجل، إنّه أفضل مادة جعلتني شغوفا لدراستها ومعرفة كلّ أسرارها.

أضاف سفيان ونظراته تسترق المكان قائلا:

ـ أظن أنّه حان وقت رحيلك إلى العالم الخارجي.

وقف أمين من على الأريكة وأجاب مبتسما ابتسامة عريضة، والفرحة بادية على وجهه وكأنّه كان يحبّ التعرّف على ذلك العالم الخارجي:

ـ أنا مستعدّ للرّحيل كي أعود سريعا إلى هنا.

اقترب سفيان منه بخطى بطيئة وتحدّث بكلّ ثقة:

ـ إذن، سوف ترافقني الآن، عليك أن تودّع والديك، فأمّك في الخارج بانتظارك.

وقف السيد جمال واقترب من ابنه وحضنه متمنّيا له رحلة موفّقة، وعيناه اغرورقت بالدّموع، فهو لم يعتد العيش بعيدا عن ابنه الوحيد.

تدخّل سفيان لينهي ذلك الموقف الرومانسي والحزين:

ـ هيّا بنا، لا داعي للحزن، فلن يكون هذا بمثابة الفراق الأبدي، إنّه سوف يذهب في إطار مهمّة وسوف يعود سريعا عند تحقيقها إن شاء الله.

هكذا، خرج الثلاثة من المنزل، وودّع أمين أمّه التي كانت بالخارج في انتظاره، ثم ركب السيّارة بالمقعد الخلفي بجانب الجنرال سفيان، فانطلق السّائق بالسيّارة إلى مكان بعيد عن تواجد السكّان والمنازل دون أن تحدث السيّارة أدنى صوت، فقد كانت مزوّدة بتكنولوجيا لم نسمع بها قطّ، وكانت تعمل بنظام هيدروجيني غير ملوّث للبيئة.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

عمّ الصّمت في السيّارة لبعض الوقت، ظلّ خلالها أمين ينظر إلى المناظر الطبيعية الخلاّبة، وبعدها كسّر سفيان ذلك الصمت موجّها سؤاله إلى أمين:

ـ هل سبق وأن حدّثك أبوك عن العالم الخارجي؟ وكيف نصل إلى هناك؟

أجاب أمين بالنفي، وتابع رؤيته للمناظر وكأنّه يتجاهل ما يريد سفيان قوله، لكن سرعان ما تابع سفيان حديثه قائلا:

ـ إنّ العالم الخارجي مليء بالأشرار، لذلك أوصيك منذ هذه اللّحظة أن تكون حذرا وأن لا تثق في أي أحد

سوى الأشخاص الذين سوف تتعرّف إليهم من خلال وسائطنا هناك بالولايات المتحدة الأمريكية.

التفت أمين إلى مكان تواجد سفيان وقال مستغربا:

ـ أ إلى هذه الدّرجة هم قبيحون ولا يجدر الثقة بهم؟

أجاب سفيان والقلق ينبعث من عينه وصوته كذلك:

ـ الأمر مؤكّد، فالتّاريخ علّمنا أن لا نثق بهم أبدا، ومع مرور الوقت ستدرك جيّدا ما أقوله لك الآن، لكن يجب أن تثق بكلامي حتى تعود سالما إلى الجزيرة المجهولة.

تنفّس أمين بعمق وكأنّه أحسّ باختناق في صدره بعد سماعه لكلام سفيان، ربّما أحسّ بالخوف أو بصعوبة المهمّة في عالم مليء بالأشرار.

انتبه سفيان إلى قلق أمين فحاول أن يطمئنه قائلا:

ـ لا داعي للقلق، إن عملاءنا هناك يتوفّرون على كلّ الوسائل الضرورية لحمايتك، كما أنّنا سنظلّ نراقب الوضع هناك من هنا بوسائلنا السريّة، وسنتدخّل فورا كلما كان هناك خطر ما.

أحسّ أمين بشيء من الطمأنينة، وبدأ يسترجع الثقة في نفسه بعد سماع كلام الجنرال.

بعد مرور نصف ساعة من الزمن، وصل أصدقاؤنا إلى مكان وسط الغابة، توقّفت السيّارة على بعد أمتار من بوابة من معدن صلب جدّا غير قابل للصدأ، ونزل سفيان من السيّارة وتبعه أمين، ثم تابعا السير بخطوات هادئة بينما غادر السّائق المكان عائدا من حيث أتى.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

اقترب سفيان من البوابة المعدنية وأخرج من جيب سترته بطاقة ممغنطة ووضعها بالقرب من جهاز مضيء بلون أحمر الذي سرعان ما صار لونه أخضر، ففتحت الباب، لقد كان باب مصعد آلي، فطلب سفيان من أمين الدخول إلى المصعد، فدخل الاثنان إلى هناك وانغلقت الباب، ثم ضغط سفيان على لوحة رقمية على يمينه، فأخذ المصعد بالنزول إلى الأسفل، وبعد ثوان توقّف عند الطابق السفلي رقم اثنين.

خرج كل منهما من المصعد، وحينها أخذ أمين ينظر إلى المكان بتعجّب، ثم تابعا سيرهما في رواق من ثلاثة أمتار، إلى غاية وصولهم إلى باب ضخم قام حراس أمنيون بفتحة عن بعد، فكلّ شيء هناك مراقب مراقبة شديدة، وما أن دخل أمين من ذلك الباب زادت دهشته عندما رأى جسما ضخما طالما سمعنا به وأطلقنا علية اسم الصّحن الطائر، أجل إنه الصحن الطائر الذي لطالما تم تكذيب الآلاف وربما الملايين من الناس الذين شاهدوه والتقطوا صورا وفيديوهات له، نعم تم تكذيبهم من طرف جميع الأجهزة الحكومية التابعة طبعا لحكومة الظل.

لقد أحسّ أمين بالدهشة، وعيناه لم تستطع التوقف عن النظر إلى ذلك الجسم الرهيب، وفي تلك اللحظة التفت الجنرال إليه وصاح قائلا:

ـ أعرف تماما بما تفكّر فيه، هذا هو وسيلة رحلتنا نحو العالم الخارجي، وهو الوسيلة التي تمكننا من الذهاب إلى أي مكان في العالم الخارجي بما فيها السّفر إلى كواكب أخرى.

ظل أمين صامتا للحظات قبل أن يردف قائلا:

ـ إنّه اختراع عظيم! إنها فرصة عظيمة لركوب هذا الصّحن الطائر.

سرعان ما تدخّل الجنرال قائلا:

ـ هناك اختراعات أعظم بكثير من هذا، سوف تعرف المزيد عندما تعود إلى الجزيرة بعد إتمام مهمتك بنجاح إن شاء الله.

همهم أمين متعجّبا:

ـ هناك اختراعات أعظم بكثير من هذا، إنه شيء لا يصدّقه العقل البشري، كيف لا وأنا سأقوم بمهمة تظهر مستحيلة في نظر الأغلبية إن لم أقل الكلّ.

نظر الجنرال إلى أمين وابتسم مشيرا بأصبعه إلى شخص كان قريبا منهما وقال:

ـ الآن سوف أتركك برفقة ذلك الرّجل ذو اللباس الأبيض.

اقترب كل منهما من ذلك الرّجل وبادر سفيان للسّلام عليه، وبدوره سلّم عليهما وفرح بقدومهما كثيرا وقال:

ـ إنّه الشاب أمين، أليس كذلك؟

أكّد سفيان الأمر قائلا:

ـ أجل، إنّه الشاب أمين.

ثم تابع حديثه:

ـ لقد حان وقت رحيله إلى المكان المتفق عليه، وأتمنى لكم رحلة موفّقة.

غادر الجنرال ذلك المكان وترك الشاب أمين برفقة ذلك الرّجل ذو اللّباس الأبيض.

لقد كان رجلا طويل القامة، أبيض اللون وشعره أشقر، ذا وجه بشوش، كان يدعى ياسر، حيث بادر إلى الحديث مع الشاب أمين الذي لم تفارق نظراته ذلك الصّحن الطائر.

ـ إذن أنت الشاب أمين، لقد سمعت الكثير عنك، أنا أدعى ياسر، مهمتي هي قيادة ذلك الصّحن الطائر كما يسمّونه في العالم الخارجي.

التفت أمين إليه مبتسما وقال:

ـ يشرفني أن أتعرّف عليك، إذن أنت من سيقودنا نحو الولايات المتحدة الأمريكية؟

ـ أجل، أنا بالضبط، وطبعا برفقة مساعدين آخرين، فالرحلة تحتاج إلى كثير من الحذر وخاصّة خلال الآونة الأخيرة.

أحسّ أمين بالفضول وكان يرغب في طرح الكثير من الأسئلة على صديقه الجديد، لكنّه أدرك أن الوقت غير ملائم وأنّه مازال هناك متّسع من الوقت لمعرفة المزيد من المعلومات عن العالم الخارجي الذي لطالما سمع سكّان الجزيرة يتحدثون عنه، لكنّه كان يريد معرفة الحقيقة كاملة لكن من جانب سكّان العالم الخارجي.

توقّف أمين عن التفكير في تلك الأمور بعدما سمع ياسر يسأله:

ـ أين وصلت بتفكيرك يا أمين؟ أظن أنّك قلق بسبب الرحلة الأولى في حياتك خارج الجزيرة، أليس كذلك؟

تلعثم أمين وهو يجيب:

ـ طبعا، طبعا، إنها الرحلة الأولى لي.

حاول السيد ياسر أن يطمئنه رابتا على كتفه:

ـ لا تقلق، سوف يرافقك السيّد ربيع، هيّا معي كي تتعرّف أكثر على المكان وبعض الأصدقاء، إذ يتعيّن عليك الاستحمام ولم يتبق أمامنا سوى ساعتين ونصف من الزمن لننطلق نحو هدفنا.

عادت الطمأنينة إلى قلب أمين عندما سمع كلمات ياسر، وإن كان الفضول مازال يحاول الانتصار عليه لكن سوى لحظات وانتهى الأمر.

خطا كل منهما خطوات سريعة واتّجها إلى أحد الأروقة المتواجد في أقصى اليسار، وتابعا سيرهما في ذلك الرواق لحظات قليلة حتى وصلا أمام باب أخضر اللون، وقام ياسر بفتحه ودخلا إلى هناك.

لقد كان المكان مخصّصا للاستحمام، وبه عدّة خزانات تحتوي على ملابس خاصة ومنشفات متعدّدة الألوان، وكان بالداخل بعض الأشخاص، منهم من انتهى من الاستحمام وبصدد ارتداء الملابس الخاصة ، والبعض الآخر مازال يستحم، حيث بادر السيد ياسر إلى السّلام عليهم وعرّفهم على الشاب أمين الذي حيّاهم بإشارة من يده، وهم بدورهم سارعوا إلى ردّ السلام عليه والترحيب به، ولقد كان من بين أولئك الأشخاص السيد

ربيع الذي اقترب من الشاب أمين ودعاه إلى الاستحمام.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

مرّت الثواني والدقائق بسرعة، وحان موعد انطلاق الرحلة نحو العالم الخارجي، عالم نعرفه نحن أكثر من الشاب أمين الذي عاش طفولته في الجزيرة المجهولة، ولم يعرف عنه سوى القليل، لكن ربما ستتاح له الفرصة ليعرف الكثير عنه، من يدري فالغيب والمستقبل يخفي في طيّاته الكثير من المفاجآت...

أجل، لقد حان وقت رحيل الشاب أمين، دخل إلى الصّحن الطائر وجلس في مقعد بالقرب من السيّد ربيع، وانغلقت أحزمة السّلامة بشكل تلقائي، وطبعا التحق تباعا بعض الأصدقاء الذين تعرف عليهم ولو بنسبة قليلة أثناء استحمامه، وأخذ كل واحد منهم مكانه المعتاد.

كان الصّحن الطائر مليئا بأزرار مضيئة، وشاشة زجاجية ضخمة في المقدّمة، حيث كان يجلس شخصان

يتوسطهم السيد ياسر، الذي أعطى الأمر بفتح بوابة كبيرة جدا توجد مباشرة فوق المركبة الفضائية، ففتحت بالكامل فاسحة المجال أمام الصّحن الطائر للخروج بشكل عمودي لعدّة أمتار، إلى أن وصل إلى غاية سطح تلك البناية الموجودة تحت الأرض، فازدادت سرعته ليرتفع نحو أعالي السّماء، فصار كأنه نقطة ضوء بيضاء أو نجم متحرّك في السّماء، قبل أن ينطلق بسرعة ربّما تفوق سرعة الضوء، ليختفي عن الأنظار باتّجاه العالم الخارجي، وبالضبط إلى جبال الأبالاش في ولاية كارولاينا الشمالية في الولايات المتحدة الأمريكية.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

مرّت سوى ثواني معدودة على انطلاق المركبة الفضائية لتصل إلى جبال الأبالاش، حيث حطت في مكان بعيد عن أنظار الناس، فنزل السيد ربيع والشاب أمين من الصّحن الطائر، وبمجرّد أن ابتعدا عنه عدّة أمتار، بدأ يرتفع عن الأرض بشكل عمودي شيئا فشيئا، ثم انطلق من جديد بسرعة هائلة باتّجاه مثلث برمودا حيث الجزيرة المجهولة، وآنذاك أخرج ربيع من جيبه

المصباح اليدوي، وأضاء المكان العائم في السّواد، فأخذا يسيران مشيا على الأقدام لعدّة أمتار إلى غاية وصولهما إلى طريق غير معبّد، حيث كانت هناك سيّارة سوداء اللون، رباعية الدفع، تنتظر وصولهما في ذلك المكان المظلم.

كان هناك رجلان بانتظارهما، أحدهما كان جالسا بداخل السيّارة أمام مقود السيّارة، بينما كان الثاني واقفا بجانب السيّارة، كان طويل القامة وقويّ البنية، سرعان ما بادر إلى فتح الباب الخلفي للسيّارة مرحّبا بالسيد ربيع والشاب أمين اللذان ولجا إليها واحدا تلو الآخر، ثم أغلق ذلك الرجل باب السيارة وصعد بدوره إليها.

أطفأ ربيع المصباح اليدوي وطلب من السائق الاتّجاه مباشرة إلى المختبر السرّي المتواجد في كارولاينا الشمالية.

أدار السّائق مفتاح تشغيل محرّك السيّارة دون أن يتكلّم، وانطلق بسرعة متوسّطة لعدّة أمتار إلى أن وصلوا إلى الطريق المعبّدة، حيث ازدادت سرعتها شيئا فشيئا باتّجاه الهدف المنشود.

ظلّ الشاب "أمين" صامتا وهو ينظر إلى العالم الخارجي الذي لطالما سمع به، لكن في تلك اللحظة كان يراه بأمّ عينه متأملا الطريق الذي يحمله إلى المجهول، أمّا السيد ربيع فقد بدأ النوم يداعب عينيه، فقد تجاوزت الساعة منتصف الليل، لكنّه قاومه ملتفتا إلى جانبه الأيمن حيث يجلس أمين موجّها له السؤال:

ـ فيم تفكّر يا أمين؟

أدار أمين رأسه باتّجاه ربيع وأجاب بكلّ ثقة:

ـ أفكّر فيما تفكّر فيه الآن أنت.

ضحك ربيع بصوت عال وسأله:

ـ وفيم أفكر الآن؟

خمّن أمين لبرهة من الزمن قبل أن يجيب بكلّ ثقة في النفس:

ـ تفكّر في اليوم الذي سوف تصبح فيه عالما ذائع الصِّيت، أليس كذلك.

احمرّ وجه ربيع وأحسّ بقشعريرة تسري في جسمه، ربما لأن أمين أصاب في تخمينه، أو ربّما كان ذلك حلما

لم يتمكن من تحقيقه بعد، لكن سرعان ما سيطر على نفسه وقال مبتسما:

ـ لا، لا، لم أكن أفكر في هذا بتاتا، لأن مهمتي الآن هو مساعدتك كما تعرف، وأتمنى أن تصير أنت عالما مشهورا.

صمت أمين من جديد، وسافر بتفكيره إلى ذكريات الطفولة، حينما فاز بجائزة أفضل تلميذ في مواد العلوم، لقد نظمت المسابقة وهو في العاشرة من عمره، وتمكّن من التفوّق على جميع منافسيه بكلّ سهولة، لقد كانت أمّه وأبوه وعمّه من بين الحاضرين في تلك المسابقة، وكانوا يشجّعونه كثيرا في عدّة مناسبات، أبدا لن ينسى طيبوبة "عبد الواحد"، ولا حبّ والديه له منذ ولادته، لقد أحسنا تربيته، وزرعا فيه مجموعة من القيم الإنسانية، ولطالما نصحاه بالوقوف مع صاحب الحق وأن يكون بصفّ الخير مهما كانت الظروف، وغير ذلك من القيم الإيجابية التي صرنا نفتقدها كثيرا في مجتمعاتنا، خصوصا في وقتنا الراهن مع الأسف الشديد.

واصل أمين تأمّله للعالم الخارجي، بينما ربيع غلبه النوم، أما السّائق والرجل الجالس بجانبه لم يتدخلا في الحديث الذي دار بين ربيع وأمين والتزما الصمت طوال الطريق.

مرّت السّاعات سريعا، وبزغ معها ضوء النهار، وقتذاك بدت من بعيد بناية مركز الأبحاث العلمية السرّي، وأعلن السّائق عن وصولهم بصوت مرتفع شيئا ما:

ـ سيّدي ربيع! لقد وصلنا إلى الهدف.

فتح ربيع عينيه بمجرّد سماع صوت السّائق، ونظر إلى ساعته الإلكترونية التي تشير إلى حوالي السّاعة السادسة صباحا، تحرّك قليلا في مكانه قبل أن يهمهم:

ـ لم أشعر بمرور الوقت.

ثم أضاف قائلا بصوت واضح:

ـ حسنا، تابع السياقة إلى أن تصل إلى مركز المراقبة كالمعتاد.

نظر السّائق إلى ربيع خفية عبر المرآة الداخلية للسيارة ثم قال:

ـ كما تشاء يا سيّدي!

نظر ربيع إلى الشاب أمين وتبسّم قائلا:

ـ يبدو أنك لم تنم طوال مسافة الطريق، هل أنت قلق إلى هذه الدرجة؟

ضحك أمين وأجابه بالنفي قائلا:

ـ لا، لست قلقا على الإطلاق، لقد كنت فقط منشغلا بالنّظر إلى العالم الجديد بالنسبة لي.

انفجر ربيع ضاحكا وقال:

ـ العالم الجديد! ليس هناك شيء أجمل من جزيرتنا، فالعالم الخارجي مليء بالأشرار، وأنا شخصيا لا أجد فيه شيئا يثير إعجابي، وأتمنى أن أعود من حيث أتيت في أقرب وقت ممكن.

استمع أمين جيّدا لما قاله ربيع، لكن دون أن يقتنع به، فظل صامتا لبرهة قبل أن ينطق مشيرا بيده:

ـ أظن أننا وصلنا إلى مركز الأبحاث العلمية.

أكّد ربيع كلامه قائلا:

ـ أجل، إنه هو، وأخيرا وصلنا.

توقّف السائق مباشرة أمام مركز المراقبة، وعلى الفور اقترب منهم رجل بلباس الأمن الخاص الذي أعطى الإشارة للسائق كي يتقدّم بالسيّارة ويعبر إلى الداخل.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

دخلت السيّارة إلى مركز الأبحاث العلمية السرّي عبر بوابة كبيرة انفتحت بشكل تلقائي وتوقّفت في موقف السيّارات بالطابق السفلي، ثم خرج ربيع وتبعه الشاب أمين، في حين ظل كل من السائق والرّجل الجالس بجانبه بالقرب من السيّارة.

تقدّم ربيع وسار بخطى سريعة، وبجانبه أمين، باتّجاه المصعد الموجود على بعد أمتار من موقف السيّارة. ضغط ربيع على الزر الموجود بالجانب الأيسر للمصعد الذي انفتح بابه، وولجا إليه.

مباشرة بعد ذلك، ضغط ربيع على الزر الذي يشير إلى الرقم ثلاثة فانغلق باب المصعد وأخذ يرتفع بهدوء تام إلى غاية وصوله إلى الطابق الثالث، فتوقّف المصعد وخرجا منه، ثم أخذا يمشيان لعدّة أمتار في رواق

واسع شيئا ما، والذي مازالت أضواؤه تنير المكان، وحينذاك بادر ربيع إلى الحديث مع أمين، بعد أن ظلا صامتين في المصعد، قائلا:

ـ الآن سوف أريك مكان إقامتك، إذ يتعيّن عليك أن تستريح قليلا قبل أن تبدأ العمل في المساء إن شاء الله، هل توافقني الرأي؟

حملق أمين إلى المكان متعجّبا من جمالية البناية وردّ بالإيجاب:

ـ أجل، أنت على صواب، لقد بدأ الإرهاق يتسرّب إلى جسدي، وإني أحس برغبة جامحة في إغلاق عيناي.

أخرج ربيع مفتاحا من جيب سرواله وأشار بيده إلى الغرفة رقم سبعة وقال:

ـ هذه هي غرفتك من الآن فصاعدا، خذ المفتاح يا صديقي، الآن استرح قليلا، وسوف آتي فيما بعد لأعرّفك على بعض الأصدقاء الذين سبق وأن كنت تعرفهم.

تعجّب أمين وقال:

ـ بعض الأصدقاء!

ـ لا تتعجّل، الآن أُدخل إلى إقامتك، وإذا احتجت لأي شيء فهناك هاتف بالداخل، وما عليك سوى أن تركّب الرقم ثلاثة عشر وسوف يحضرون لك كلّ ما تطلبه.

وإفق أمين دون أي نقاش، ودخل إلى مكان إقامته قائلا:

ـ إلى اللقاء !

ابتسم ربيع قبل أن يردّ عليه قائلا:

ـ إلى اللقاء !

تابع ربيع سيره بمفرده إلى غاية نهاية الممرّ، وتوقّف أمام الغرفة رقم عشرة، وأخرج من جيب سرواله حامل المفاتيح الذي كان يتضمّن مفاتيح من أحجام مختلفة، فوقع اختياره على المفتاح المناسب دون خطأ، ثم فتح باب الغرفة ودخل إلى هناك وهو يردّد أغنية للمغني الأمريكي الشهير مايكل جاكسون.

أغلق ربيع الباب من ورائه، وأزال السترة ووضعها فوق طاولة صغيرة كانت توجد بالجانب الأيسر للغرفة، وبعد

ذلك نزع الحذاء وألقاه على الأرض، ثم استلقى على السرير كي يستريح من تعب السّفر وإن كان قد نام من قبل في السيّارة، فليس هناك مكان أفضل من السرير لأخذ قسط وافر من الراحة، وسرعان ما غط في نوم عميق مصدرا صوت الشخير وكـأنه كان ينام في وضعية غير مريحة، أو ربّما كان يعاني من شيء ما يجعله يصدر ذلك الصوت المزعج وغير المرغوب فيه.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت السّاعة تشير إلى الواحدة زوالا، ومازال الشاب أمين غارقا في النوم، فقد ظل مستيقظا طوال مسافة السّفر، ربما كان قلقا من المهمّة التي أوكلت إليه وخاصة سيقوم بها بعيدا عن مكان ولادته وفي غياب عائلته التي طالما ساندته خلال مرحلة طفولته، فقد تلقى رعاية خاصّة واهتماما كبيرا، سواء من طرف أسرته الصغيرة أو من جانب أساتذته وأصدقائه أو أصدقاء والده وعمّه عبد الواحد.

فجأة سمع أمين طرقات بباب غرفته وصوت ربيع يناديه من خلف الباب:

ـ هيّا، استيقظ يا أمين! افتح الباب!

فتح أيمن عينيه بصعوبة كبيرة، فالنوم مازال يلعب بجفونه، نزع الغطاء عنه ووقف بصعوبة، ثم فتح الباب مرحّبا بربيع:

ـ تفضّل بالدّخول.

دخل ربيع إلى الغرفة مغلقا الباب خلفه، ثم خطا خطوتين أو ثلاثة وقال:

ـ أظنّ أنك أخذت قسطا من الراحة وإن كان لا مجال للمقارنة مع النوم في الليل.

جلس أمين فوق السّرير وهو يستمع إلى صديقه ربيع، وقال معلّقا على كلامه:

ـ أجل، إنك على حق، فالنوم في الصباح لا يمكنه أن يعوّض بتاتا النوم في الليل، لكن عملنا يتطلّب في العديد من الأحيان السّهر في الليل.

اقترب ربيع من الشاب أمين وأردف قائلا:

ـ بالطبع، فالعمل بالليل ضروري في العديد من المناسبات، فالعديد من الاختراعات تمّت بالليل يا صديقي، فالهدوء والصمت يساعدان الإنسان على التركيز، وبواسطة هذا الأخير يعمل الدماغ بشكل أفضل، وخاصة عند تناول كوب من القهوة.

ضحك أمين بصوت عال وقال:

ـ لقد ذكّرتني بمشروبي المفضل، وأنا لم أتناول الفطور بعد.

تقدّم ربيع نحو الهاتف الثابت الموضوع فوق مكتب صغير في أقصى يمين الغرفة، وأمر بإحضار الطعام ودون أن ينسى طلب كوبين من القهوة، وأقفل السمّاعة، ثمّ جلس بجانب صديقه أمين وربت على كتفه قائلا:

ـ سوف نتناول معا وجبة الغذاء ونستمتع بشرب القهوة، ثم نذهب لكي تتعرّف على باقي فريق العمل الذي سيساعدك في إنجاز مهمتك بنجاح.

وقف أمين وخطا خطوتين وعلّق قائلا:

ـ يشرفني أن أعمل معهم، أما الآن فسوف أذهب للحمّام لأغسل وجهي.

تبسّم ربيع وهو ينظر إلى أمين، ثم أضاف قائلا:

ـ حسنا، اذهب حتى تكون مستعدّا للمقابلة المهمّة.

وخلال ثوان من دخول أمين إلى الحمّام، سمع ربيع طرق الباب، فتوجّه لفتحه فورا، فوجد أحد العمال، قصير القامة، يحمل طبق الطعام وكأسين من القهوة، فأخذ منه ذلك فورا وشكره، وأغلق الباب، ثم وضع الطعام فوق الطاولة، وبدأ باحتساء القهوة.

وبينما كان ربيع يحتسيها بشغف كبير، خرج أمين من الحمّام وجلس بالقرب من صديقه، وأخذا يتناولان الطعام، وفي نفس الوقت يتبادلان الحديث حول أمور العمل.

مرّت الدقائق بسرعة، وانتهيا من تناول الطعام، وبعد ذلك خرجا من الغرفة وعبرا الرواق بخطى سريعة، واتّجها مرّة أخرى إلى المصعد، لكن هذه المرّة نزلا إلى الطابق الأول تحت أرضي، حيث يوجد المختبر الخاص بالأبحاث العلمية.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

اقتربت السّاعة من الثانية بعد الزوال، ومازال عبد الرؤوف وزميلته سميرة في المختبر، ليس من عادتهما التأخر في العمل لغاية هذه السّاعة، فغالبا ما كانا يبدآن عملهما في المساء على السّاعة السّادسة ويغادران في منتصف النهار. لقد ظلا هناك بالمختبر في انتظار قدوم التلميذ الذي قاما بتدريسه مادة الكيمياء في المرحلة الإعدادية، أجل إنّه الشّاب أمين الذي كان متفوّقا كثيرا في تلك المادة، ولطالما توقّعا له مستقبلا زاهرا، وقد حان الوقت ليلتقيا به مجدّدا بعد مرور سنوات على مغادرتهما للجزيرة.

كانت سميرة في الأربعين من عمرها، ومع ذلك كان جمالها فاتنا، ذات بشرة بيضاء وشعر أشقر، أحسّت بالقليل من العياء فجلست على أريكة يميل لونها إلى الحمرة، بينما كان عبد الرؤوف واقفا أمامها يتحدث معها بموضوع لطالما حاول إقناعها به في العديد من المناسبات لكن دون جدوى، إذ بادر إلى طرح السؤال عليها دون أن يتردّد لحظة واحدة كالمعتاد:

ـ لماذا لا تريدين الزواج من جديد؟

أجابت سميرة ونظرها مصوّب على باب المختبر وكأنّها تتوقع دخول أحد ما:

ـ ببساطة لا أريد تكرار تجربة أخرى فاشلة.

ابتسم عبد الرؤوف وسألها من جديد:

ـ هل مازلت تحبين زوجك السّابق؟

أحسّت سميرة بنوع من الإحراج واحمرّت وجنتيها، لكن سرعان ما ردّت عليه قائلة:

ـ لا، بالتأكيد لا، كيف لي أن أظل أحبّه وقد خانني مع امرأة أخرى؟ إني أحتاج لبعض الوقت حتى أرتّب حياتي من جديد، وبعدها سوف أبحث عن شريك شاب وسيم ووفيّ.

ضحك عبد الرؤوف قبل أن يعلّق قائلا:

ـ أستنتج من حديثك أنّك تريدين رجلا شابا، ومن يدري أنّك ستقعين في حبّ رجل كبير في السنّ.

وقفت سميرة وابتعدت عن الأريكة بمترين تقريبا وقالت:

ـ إنّي أريد شابا وسيما، وما المانع وقد تزوّجت أنتَ من امرأة شابة؟

أراد عبد الرؤوف أن يجيب على تساؤل زميلته سميرة، لكنّه تفاجأ بدخول السيّد ربيع وبرفقته الشاب أمين، الذي بدت على وجهه علامات ممزوجة بين الفرح والتعجّب، حينما رأى أستاذه عبد الرؤوف وأستاذته سميرة، واقترب منهما بخطى هادئة وسلّم عليهما سلاما حارا، ورحّبا به ترحيبا كبيرا، وعبّرت سميرة عن فرحها وإعجابها له قائلة بابتسامة عريضة:

ـ مرحبا بك يا أمين! لم أتوقّع أن تكون قد صرت شابا هكذا وبهذا الجمال.

كما رحّب السيد عبد الرؤوف بالشاب أمين متمنيا له التوفيق في مهمته قائلا:

ـ مرحبا بك أيّها الشاب الطموح، فأنت ستكون بمثابة اليد اليمنى لفريق البحث العلمي، وأتمنى أن تنجح في مهمّتك كما عهدناك وأنت طفل صغير.

أحسّ أمين بالخجل وشكر أستاذته وأستاذه قائلا:

ـ شكرا جزيلا لكما، أتمنى أن أكون أهلا للمهمة الصعبة وأن أيصير الحلم حقيقة إن شاء الله.

في تلك اللحظة تدخّل السيد ربيع قائلا:

ـ أنا بدوري أرحب بالشاب أمين ضمن فريقنا الذي اكتمل بوجوده، وأرجو منك يا سميرة أن تحيطه علما بجميع المعلومات المتعلّقة ببحثنا السرّي حتى يكون ملمّا بجميع حيثياته.

وافقت سميرة على طلب ربيع وقالت:

ـ كما تشاء يا ربيع، سوف أعمل جاهدة حتى يعرف بمختلف المراحل السابقة لبحثنا السرّي.

ثم أضاف السيد ربيع قوله:

ـ وأنت كذلك يا عبد الرؤوف، أرجو منك مساعدته في أي شيء يريد الاطلاع عليه، وأنا رهن إشارة الجميع في أي وقت.

أدخل السيد ربيع يده في جيب سترته وأخرج بطاقة إلكترونية وتابع كلامه مخاطبا الشاب أمين:

ـ خذ بطاقتك، فبواسطتها تستطيع الدخول والخروج عبر العديد من الأبواب المجهّزة بقارئ البطاقة، كما يمكنك بها الدخول إلى المكتبة في الطابق الرابع حيث ستجد ما قد ينفعك في بحثنا.

أخذ الشاب أمين بطاقته وشكر السيد ربيع على مساعدته له.

آنذاك هم السيد ربيع بالمغادرة قائلا:

ـ إلى اللقاء يا أصدقاء!

ردّ الثلاثة قائلين في نفس الوقت:

ـ إلى اللقاء يا ربيع!

غادر السيد ربيع المختبر واختفى عن الأنظار، وبقي الشاب أمين مع أستاذه عبد الرؤوف وأستاذته سميرة التي ظلّت تنظر إلى الشاب أمين نظرة إعجاب، فمنذ دخوله إلى المختبر لم تفارق عيناها النظر إليه، ربّما سحرها جماله، كما تعرف طيبوبته حينما كان صغيرا، فقد أسرها بذكائه في الماضي، واليوم ربما صارت سجينة لجماله، ومن يدري قد تكون قد وقعت في حبّه

منذ النظرة الأولى، إنه شعور غريب يتسرّب إلى داخل الإنسان دون سابق إنذار، ويجعل القلب لا يرغب في أي أحد سوى المحبوب، إنه داء إذا أصاب الشخص لن يجد له دواء، فالعشق عجز عن مداواته الأطباء منذ القديم.

ظنّت سميرة أنّها قد وجدت الشاب الذي سينقذها من الوحدة القاتلة التي استوطنتها منذ أن فارقت زوجها، لعلّ الشاب سوف يكون من نصيبها، سافرت سميرة بعيدا في الأحلام إن لم تكن الأوهام، لكن المستقبل يصعب التكهّن به، والأجدر بها أخذ الكثير من الحذر والحيطة في علاقاتها الرومانسية حتى لا تكون الصدمة كبيرة وخاصة أنّها على ما يبدو لم تشف نهائيا من صدمتها الأولى، لكن سرعان ما توقّف تفكيرها حينما بادر عبد الرؤوف للحديث معها قائلا:

ـ يا سميرة! أظن أنّ الشاب أمين يريد معرفة كلّ ما يتعلّق بالبحث العلمي الذي جاء من أجله إلى هنا قبل أن نغادر، أليس كذلك يا أمين؟

نظر أمين إلى زميله في العمل مبتسما وقال:

ـ أجل، إنّي أريد معرفة كلّ التفاصيل حتى أستطيع بدء العمل في الفترة الليلية.

ابتسمت سميرة وعلّقت قائلة:

ـ أنت أيضا تحبّ العمل في الليل، هذا خبر مفرح، فنحن أيضا نفضّل العمل خلال فترة الليل، لكن لا يسمح لنا بذلك دائما، فنحن نعمل بالليل في الأسبوع الأول والثالث من كلّ شهر، وهناك فريق آخر يعمل في الفترة الليلية في الأسبوع الثاني والرابع من نفس الشهر، هكذا تم تقسيم العمل داخل هذا المختبر.

تابع عبد الرؤوف حديثهما بتمعن ثمّ تدخّل قائلا:

ـ طبعا هذا الأسبوع سوف نعمل خلال فترة الليل التي سوف تبدأ على السّاعة السادسة مساء وتنتهي مع منتصف النهار، والآن قد حان وقت مغادرتي وسوف نلتقي فيما بعد.

غادر عبد الرؤوف المكان بعد أن ودّع زميلته سميرة وزميله الجديد.

حملق أمين في المكان لبرهة ثم علّق قائلا:

ـ إن المختبر كبير الحجم، ولم أشاهد مثله من قبل.

تبسّمت سميرة وهي تنظر إلى أمين مؤكدة قوله:

ـ أجل، إنه مختبر كبير، لكن أظنّ أنّك لم ترى سوى الجزء الصّغير منه، كما لا يحقّ لنا الدّخول إلى جميع الأماكن، وخاصّة يمنع علينا ولوج الطابق الثاني تحت أرضي.

تعجّب أمين دون أن يعلّق على كلامها، ثم تابعت حديثها وهي تشير بيدها إلى غرفة قريبة منهما:

ـ حسنا، الآن سوف نذهب إلى تلك الغرفة هناك، كي أطلعك على معلومات مهمّة تتعلّق ببحثنا السرّي الذي جئت من أجله، هل أنت مستعّد؟

نظر أمين إليها مبتسما وقال:

ـ طبعا أنا مستعّد.

رسمت سميرة بدورها ابتسامة على شفتيها وقالت:

ـ هيّا بنا إذن.

توجّه الاثنان إلى تلك الغرفة بخطى بطيئة شيئا ما، وفتحت سميرة باب الغرفة ودخلا إليها، ثم أغلقت الباب خلفهما وقالت:

ـ اجلس هنا من فضلك.

جلس أمين على كرسي بالقرب من مكتب متوسط الحجم كان مصنوعا من الخشب الرفيع، وأخذ ينظر إلى الحاسوب الموجود أمامه مباشرة فوق المكتب، في حين اتّجهت سميرة إلى خزانة حديدية كانت في الجانب الأيمن للغرفة، وأخرجت فورا مفتاحا من جيب سروالها الأزرق اللون، وفتحت الخزانة، ثم أخذت من هناك قرصا مضغوطا وجلست بالقرب من زميلها الجديد الشاب الطموح، وبادرت إلى تشغيل القرص في ذلك الحاسوب الذي أنارت شاشته، وهمست في أذن أمين:

ـ إنّ هذا القرص المضغوط يحتوي على فيديوهات تتعلّق بالبحث العلمي السرّي، وسوف أتركك الآن لوحدك كي تطّلع على مضمونها بهدوء، وإذا احتجت لأي تفسير أو لديك أي سؤال، سوف تجدني في الخارج رهن إشارتك.

تبسّم أمين وهو ينظر إلى سميرة وقال:

ـ شكرا لك، إذا احتجت إلى مساعدتك فلن أتردّد في طلبها.

قامت سميرة من مكانها وقالت:

ـ حسنا، سوف أتركك الآن.

خرجت سميرة من الغرفة وأغلقت الباب بهدوء، بينما أخذ أمين يشاهد الفيديوهات واحدا تلو الآخر، وبين الفينة والأخرى يضع يده على خدّه ربّما كان ذلك تعبيرا عن استغرابه ودهشته، أو ربما كطريقة للتركيز أكثر.

ظلّ أمين هناك لأكثر من ساعة من الزمن، وهو يتابع مضمون تلك الفيديوهات والتي أثار بعضها دهشته واشمئزازه، وخاصّة تلك التي تبين استخدام بعض التجارب الكيميائية على البشر والتي أدّت إلى وفاة بعضهم بطريقة مريعة.

أحسّ أمين بحزن وقلق عميقين عند الانتهاء من الاطلاع على مضمون القرص المضغوط، وبعدها مباشرة خرج من الغرفة وقد غادرت الابتسامة شفتيه،

الأمر الذي لاحظته زميلته سميرة بل كانت متأكّدة منه، حيث بادرت إلى طمأنته قائلة:

ـ لا تقلق، إن الأمر كان متوقّعا مادامت الأبحاث في بدايتها..

قاطع أمين زميلته متسائلا:

ـ كيف تقدمون على تجريب نتائج أبحاثكم على البشر؟ لماذا لا يتم تجربتها على الحيوانات أولا؟

حاولت سميرة تهدئة أمين قائلة:

ـ لقد قمنا فعلا بالتجارب على الفئران والقردة ونجح الأمر، لكن الأمر اختلف عند تجربتها على أناس تطوّعوا مقابل ضمانات.

كتم أمين غيظه وعلّق قائلا:

ـ يجب التأكّد جيّدا من عدم خطورة المواد الكيميائية قبل تجربتها على البشر.

تفهّمت سميرة غضب أمين وقالت:

ـ أنت على صواب، لهذا تم عقد آمال كبيرة عليك للوصول إلى حل لهذه الإشكالية، وأتمنى أن تساعدنا

في إيجاد تركيبة كيميائية أخرى من شأنها أن تحقّق هدفنا.

تمالك أيمن أعصابه عند سماع كلامها، وعاد الهدوء إليه قائلا:

ـ سوف أعمل جاهدا على إيجاد حلّ في أسرع وقت ممكن حتى نتمكّن من العودة إلى الجزيرة، فقد بدأت أشتاق لوالدي وأنا قد قضيت هنا سوى ساعات معدودة.

اقتربت سميرة من أمين وأمسكت بيده بعطف وقالت:

ـ لا داعي للقلق يا أمين، كل شيء سيكون على ما يرام.

أحسّ أمين بدفء يدها وتسارع دقّات قلبه، وبرغبة جامحة لضمّها بين ذراعيه وتقبيلها، فهو لم يشعر من قبل بمثل هذا الشعور، فهو لم يعرف أي فتاة من قبل ولم ير جمالا مثل جمالها، حيث أحسّ بخجل شديد جعله يفلت يده من يدها، وعاد إلى الخلف خطوة واحدة وقال بانفعال:

ـ أنا آسف..

قاطعته سميرة معتذرة له:

ـ أنا من يجب أن يتأسّف لك، لم أشعر كيف حدث الأمر وأمسكت بيدك، أنا آسفة جدّا.

ابتسم أمين وعادت دقّات قلبه إلى سرعتها الاعتيادية وقال:

ـ لا داعي للأسف، المشكل أنني لم أعرف كيف أتصرّف في مثل هذه اللحظة، فقد اختلط الأمر عليّ وشعرت بما لم أشعر به قط.

ضحكت سميرة ضحكة جعلته ينتبه لجمالها أكثر وقالت:

ـ لقد ذكّرتني بنفس الموقف الذي مررت به مع زوجي السّابق.

أحسّ أمين بنوع من الارتياح وسألها:

ـ ماذا تعنين بزوجك السّابق، هل..

قاطعته سميرة موضّحة الأمر له:

ـ إنّي مطلّقة، لقد صرت حرّة من جديد وأتمنى أن يحبّني من يقدّر القفص الذهبي كما يقال.

ضحك أمين وسألها قائلا:

ـ كيف لم يحافظ على امرأة بجمالك؟

أحسّت سميرة بالخجل واحمرّت وجنتيها بعض الشيء وأضافت قائلة بصوت حزين:

ـ لقد خانني زوجي السابق، فالخيانة أمر قاتل وجرح غائر غير قابل للشفاء أبدا.

ربت أمين على كتفها بشجاعة وعلّق قائلا:

ـ ما قلته صحيح، ففي الحقيقة لا نحسّ بالأمان إلا مع أشخاص قليلين، لكن إذا ما تعرّضنا إلى خيانة أحدهم فربّما سنفقد ذلك الشعور مع كلّ الباقين إلى الأبد.

ضحكت سميرة وعبّرت عن رأيها قائلة:

ـ لا أظن أنّنا نفقد الأمان بصفة نهائية، فأنا أحسّ به مع زملائي في العمل كزميلي عبد الرؤوف، كما أحسّ به معك أنت يا أمين.

ابتسم أمين وشكرها قائلا:

ـ شكرا لكِ على ثقتك بي، وأتمنى أن تستمرّ هذه الثّقة إلى الأبد.

نظرت سميرة إلى ساعتها الإلكترونية التي كانت تشير إلى حوالي الرابعة، وقالت:

ـ لقد مرّ الوقت بسرعة كبيرة دون أن أشعر به، سوف أتركك الآن، وسوف نلتقي خلال الفترة اللّيلية.

أنهت سميرة حديثها وودّعت زميلها الجديد وتلميذها في الماضي القريب، ثم غادرت المختبر باتّجاه منزلها، بينما ذهب أمين إلى المكتبة المتواجدة في الطابق الرابع.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

ولج أمين المصعد الذي ارتفع به نحو الأعلى وإلى الطابق الرابع بالضبط، ولم تمر سوى ثوان ليتوقّف المصعد وانفتح بابه وخرج منه، فوجد نفسه في رواق عريض شيئا ما وطويل كذلك، ثم نظر يمينا وشمالا قبل أن يتّجه إلى الجهة اليمنى حيث توجد لافتة تشير إلى مكان المكتبة.

خطا أمين عدّة خطوات سريعة نوعا ما، والشعور بالوحدة بدأ يتسرّب إلى قلبه بسرعة لم يعهدها من قبل، ربّما قد يكون قد اشتاق إلى أسرته التي لطالما كان قريبا منها، لكن الغريب في الأمر هو أنّه لم يقض

سوى وقتا قصيرا بعيدا عنهم، وهذا طبعا يرجع إلى عدم اعتياده بعد عن فراق والديه، لكن الأمر لن يكون صعبا وخاصّة بوجود أستاذيه بجانبه، فتابع السير إلى أن وصل إلى باب المكتبة الذي فتحه باستخدام البطاقة الإلكترونية.

لقد كانت المكتبة كبيرة الحجم، وتتضمّن العديد من الرفوف، وفي كلّ مجموعة من الرفوف هناك صنف معيّن من الكتب التي كانت بلغات مختلفة، لكن الأمر لم يكن يشكل أيّة مشكلة للشاب أمين، لأنّه كان يتقن لغات عدّة، ابتداء من اللغة العربية والإنجليزية، ومرورا باللغة الفرنسية والاسبانية، وانتهاء باللغتين الصينية والروسية.

وفي مؤخرة المكتبة كان هناك أربعة صفوف من الحواسيب، وفي كل صفّ خمسة حواسيب.

أخذ أمين يتأمّل المكان وهو يدور بين الرفوف، باحثا عمّا قد يحتاج إليه في أبحاثه، وقد ظلّ يبحث لعدّة دقائق إلى أن امتلأت يده بأربعة كتب خاصّة بالكيمياء، ثمّ جلس أمام طاولة مستديرة وبدأ يقرأ فقرات من الكتب حسب ما قد سيحتاج إليه.

ظلّ في مكانه لمدّة ساعة من الزمن وهو يقرأ دون أن يزعجه أحد ما، فقد كانت المكتبة فارغة من القراء وهو أمر ساعده في التركيز بصورة أكبر ونسيان حتى مكان تواجده، لكن فجأة أحسّ بألم خفيف في عنقه، فنظر إلى ساعته اليدوية التي كانت تشير إلى الخامسة وبضعة دقائق، فوقف من مكانه وحمل الكتب في يده وغادر المكتبة.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

عاد أمين إلى غرفته رقم سبعة بالطابق الثالث، ووضع الكتب فوق الطاولة، ثم نزع الحذاء واستلقى على السّرير كي يستريح قليلا، لكن سرعان ما غلبه النوم لدقائق فقط.

سمع أمين أحدهم يطرق الباب فقام من السرير وفتحها، فوجد أحد العمّال يحمل الطّعام:

ـ سيّدي، لقد أحضرت لك الطعام.

ـ حسنا، ضعه فوق الطاولة هناك.

وضع العامل ما أحضره كما طلب منه وغادر المكان بعد أن شكره أمين وأغلق الباب خلفه بكلّ هدوء.

بدأ أمين يتناول الأكل بتلذذ، لكن الشيء الأكثر الذي أعجبه كانت قطع الحلوى المصنوعة من الشوكولاتة والجوز.

سرعان ما انتهى أمين من تناول طعامه، ونظر إلى ساعته التي كانت تقترب كثيرا من السادسة مساء، فلبس حذاءه ومشط شعره قبل أن يغادر غرفته باتّجاه الطابق الأول تحت أرضي حيث يوجد المختبر.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت سميرة داخل المختبر، لقد وصلت إلى هناك منذ لحظات فقط. لقد كانت كالعادة ترتدي وزرة بيضاء تصل إلى غاية خصرها، مع تنّورة تتجاوز قليلا ساقيها النحيفتين، وكان شعرها أشقر اللون يلامس نصف ظهرها، وعيناها الزرقاوان تنظران إلى مواد دقيقة جدّا عبر المجهر الإلكتروني.

وبينما كانت منشغلة في عملها، دخل الشاب أمين إلى المختبر ووجّه التحيّة إليها وهو يتأمّل جسدها المثير:

ـ مرحبا يا سميرة!

رفعت سميرة رأسها واستدارت نحو مصدر الصوت وردّت بابتسامة عريضة:

ـ مرحبا يا أمين!

اقترب أمين منها قليلا وقال:

ـ إني أراكِ متحمّسة في عملكِ، إنّه أمر جيّد.

ـ أجل، إن الوقت لا يسمح بتضييع الكثير من الوقت، فكما تعلم يجب أن نحقق هدفنا في أسرع وقت ممكن، فالأمور هنا تسوء أكثر من يوم لآخر.

ـ أنا أوافق رأيكِ تماما، لكن ألا تظنين أن ساعات العمل طويلة وطبعا نحتاج إلى وقت للاستراحة، فالعمل أبدا لا ينتهي.

اقتربت سميرة من أمين ووقفت أمامه مباشرة ووضعت يديها على كتفه وقالت بصوت منخفض شيئا ما:

ـ طبعا نحتاج إلى وقت للاستمتاع بحياتنا، فنحن مجرّد بشر ولسنا آلات مبرمجة.

شعر أمين برغبة قويّة في ضمّها إلى صدره، لكن هذه المرّة لم يتردّد وفعلها، ربّما لم يستطع مقاومة شعوره، أو ربما أدهشه جمالها ورقة تعاملها معه، لقد تسارعت دقات قلبه وتجرّأ وقبّلها بكلّ حنان، وازدادت رغبته عندما تسرّبت رائحة عطرها إلى أنفه، فقد كان عطرا مميّزا للغاية، لكن سرعان ما تمالكا نفسيهما وتوقفا عن تقبيل بعضهما البعض، وابتسما تعبيرا عن فرحتهما بالشعور الجميل الذي أحسّا به.

ضحكت سميرة ضحكة جذابة وقالت:

ـ ما رأيك أن أدعوك لتناول الغذاء بمنزلي غذا؟

ابتسم أمين وقبل دون أي تردّد قائلا:

ـ حسنا، إني أقبل دعوتك، وأتمنى أن تكون فرصة لكي نتعرّف على بعضنا أكثر.

ـ طبعا، ستكون مناسبة رائعة، لكن الآن يتعين علينا العمل بجدّ حتى نتمكّن من إنهاء العمل الذي جئنا من أجله إلى هنا.

ـ سوف أقوم بالمستحيل كي نصل إلى نتيجة مرضية في أسرع وقت ممكن. هيّا بنا للعمل!

في تلك اللحظة دخل السيد عبد الرؤوف إلى المختبر وألقى التحيّة عليهما:

ـ السّلام عليكم يا أصدقاء ! كيف حالكم؟

ردّ الاثنان في الآن نفسه:

ـ مرحبا ! نحن بخير والحمد لله.

تابعت سميرة حديثها بصوت مرتفع:

ـ سوف نتوجّه إلى الغرفة هناك كي أطلع أمين على بعض المعلومات الإضافية المتعلّقة بأبحاثنا.

ابتسم عبد الرؤوف وقال:

ـ حسنا، كما تشائين يا سميرة.

اتّجه الاثنان إلى تلك الغرفة بخطى ثابتة وعلامات الفضول بادية على الشاب أمين الذي يريد معرفة المزيد حول الأبحاث السريّة التي يقومون بها.

فتحت سميرة الباب ودخلا إلى هناك، وجلس أمين في نفس المكان الذي جلس فيه في المرة السابقة، بينما أخرجت سميرة ملفا أصفر اللون يتضمن العديد من

الأوراق، ثم جلست بجانب الشاب وشرعت في شرح معمّق للشاب أمين الذي تابع بكلّ حواسه ما كانت تقوله له دون أن يفكّر في أمر آخر.

كان أمين يستمع إليها بدقّة وكان بين الفينة والأخرى يطرح عليها أسئلة لفهم تام ودقيق للأمور.

وحينما انتهت من الشرح علّق أمين قائلا:

ـ الآن فهمت جيدا، الأمر يحتاج إلى اختراع عنصر كيميائي واحد سنضيفه إلى العناصر التي سبق وأن تكلّمت عنها كي تحلّ المعادلة، أليس كذلك؟

ـ أجل، هذا كلّ ما نحاول منذ مدّة طويلة القيام به، وأتمنى أن تصل إليه في أقرب وقت ممكن كي ننتقل إلى تجريب الاختراع على المتطوّعين الموجودين في الطابق الثاني تحت أرضي.

التزم أمين الصمت لوهلة قبل أن يتابع حديثه قائلا:

ـ أظن أن الأمر ليس صعبا، فأنا أحتاج للقليل من الوقت كي أبحث في بعض الكتب التي حصلت عليها من المكتبة، فقط أمهليني القليل من الوقت.

أغلقت سميرة الملف الأصفر وقامت من مكانها قائلة:

ـ لديك ما شئت من الوقت، المهم هو أن تنجح في مهمتك كي نعود سالمين إلى الجزيرة.

أرجعت سميرة الملف إلى مكانه، وقام أمين بدوره من مكانه وعلّق:

ـ الكلّ يريد العودة إلى الجزيرة، لكن الأمر كلّه يتوقّف على حلّ المعادلة الغامضة التي حيّرت الجميع، أليس الأمر غريبا بعض الشيء؟

ـ ماذا تقصد؟

فكّر أمين بسرعة البرق وأجاب:

ـ لا، لا شيء، مجرّد سوء تعبير فقط.

ـ حسنا، لنخرج من هنا، سوف أريك وسائل العمل الخاصة بك.

ـ شكرا لك على مساعدتكِ، وأتمنى أن أكون عند حسن ظنّكِ.

ـ أنا متأكّدة من ذكائكَ، فقد أبهرتني في طفولتك وستدهشني في شبابك الآن.

ـ شكرا على ثقتك بقدراتي.

ـ لا داعي للشكر يا أيّها الدّاهية.

ضحك أمين دون أن ينبس بكلمة أخرى، بينما وضّحت له سميرة مكان تواجد كل الوسائل والأشياء التي ستساعده في بحثة، ثم انفردت بنفسها كي تقوم بعملها كالعادة لكن ليس بعيدا عن زميليها.

بدأ أمين عمله بشكل رسمي بالمختبر خاصّة بعد حصوله على تلك الأدوات ومكان خاص به، لم يضيع دقيقة واحدة بل أبحر في عمله دون كلل، وبدأ يبحث عن حلّ المعادلة أو الحلقة المفقودة للوصول إلى عنصر كيميائي سيضيفه إلى العناصر الكيميائية الأخرى للحصول على المادة التي ستغير حياة سكان الجزيرة وإن مازالت في ذهنه بعض التساؤلات الجانبية دون إجابة، ربّما سيبحث عن إجابات لها في وقت لاحق.

واصل أمين عمله بتركيز كامل دون أن يعير أي اهتمام بما يقوم به زميله وزميلته، محاولا إيجاد عنصر كيميائي، لكن كلّ محاولاته باءت بالفشل دون أن يفقد الأمل.

مرّت السّاعات بسرعة، وكانت تشير إلى منتصف اللّيل، أحسّ بالعياء والنعاس بدأ يداعب جفونه، لكنّه قاوم واستمرّ في بحثه بإصرار كبير وعزيمة قويّة، وما أن همّ بإلقاء نظرة على ما قام به باستخدام المجهر الإلكتروني، سمع صوتا قادما من خلفه:

ـ مرحبا يا أمين !

رفع رأسه ونظر إلى الخلف، فرأى السيّد ربيع والابتسامة مرسومة على وجهه.

ـ أنتَ هنا يا صديقي ! كيف حالك؟

ـ أنا بخير والحمد لله، جئت لأطمئنّ عليك، وأخبرك أنّك لست مجبرا للبقاء هنا إلى غاية منتصف النهار من يوم غذ، فكلّما أحسست بالتّعب أمكنك الذهاب إلى غرفتك للنوم بعض الوقت، إن زميليك قد ذهبا إلى قاعة الاستراحة، فهما تعوّدا على فعل ذلك، ويبدو أنهما لم يخبراك بعد بالأمر، ربّما لاحظا انهماكك في العمل فتركاك دون أي إزعاج.

تبسّم أمين وتقدّم إلى مكان تواجد السيّد ربيع وقال:

ـ أنتَ على صواب، يجب أن أستلقي قليلا على السّرير حتّى أستعيد حيويّتي.

ـ الجدّ في العمل لا يعني أن نهمل صحّتنا الجسدية والنفسية يا صديقي!

ـ أجل، لقد انغمست في القيام بالتّجارب الكيميائية دون أن أشعر بمرور الوقت.

ـ اذهب واسترح، أما أنا فسوف أقوم ببعض الأبحاث حتّى تعود أو يعود زملاؤنا في العمل.

ـ حسنا سوف أتركك الآن، شكرا على اهتمامك وإلى اللقاء!

ـ إلى اللقاء !

غادر أمين المكان وتوجّه بسرعة إلى غرفته والعديد من الأفكار تتهاطل عليه فيما يخص البحث العلمي الذي يقوم به، لم يستطع إيقاف تفكيره إلا بعد أن استلقى على ظهره فوق السرير وسرعان ما غلبه النوم.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت سميرة تقود سيّارتها بسرعة متوسطة، وبجانبها الأيمن يجلس الشاب أمين، الذي كان يتأمّل الطريق المزدحم نوعا ما بالمارة والسيارات، حيث ظل صامتا إلى أن بادرت زميلته إلى سؤاله:

ـ كيف قضيتَ يومك الأوّل في المختبر؟

أدار أمين رأسه باتّجاهها وأجاب:

ـ كما تعلمين فقد غلبني النوم ولم أستيقظ إلا على وقع طرقك لباب غرفتي، أردت أن أستريح قليلا لكن..

قاطعته سميرة ضاحكة:

ـ الأمر عادي يا صديقي، فمن خلال تجربتي في العمل هناك بالمختبر فكلّنا مررنا بنفس الأمر، لكن لا تقلق سوف تعتاد على السّهر والنوم فقط لساعات قليلة.

ـ الأمر صعب قليلا في البداية كما قلت، لكن أتمنى أن لا يدوم الأمر وقتا طويلا.

ـ طبعا هذا يتعلّق بتحقيق الغرض من أبحاثنا، وأتمنى أن تخرجنا من المأزق الذي نحن فيه منذ مدّة ليست بالطويلة لحسن الحظ، فالكل يعقد الكثير من الآمال عليك كما تعلم.

ـ أجل، أجل، سوف أعمل على حلّ الإشكالية في أقرب وقت ممكن، وبالمناسبة هل لديكم هنا بعض المواد التي تم إحضارها من الكواكب الأخرى؟

فكّرت سميرة لبرهة قبل أن تحذره قائلة:

ـ يجب عليك أن تكون حذرا في أقوالك، فأنت لست في المكان ولا الوقت المناسبين لطرح مثل هذه الأسئلة، فالأعداء في كلّ مكان، والخطر صار كبيرا خاصة في الآونة الأخيرة، هل فهمتَ ما أقصد؟

تنهّد أمين وتذكّر كلام الجنرال سفيان وقال:

ـ نعم، لقد فهمت تماما كلامك، لقد نسيت فقط.

انعطفت سميرة ناحية اليمين وقالت:

ـ لقد أوشكنا أن نصل إلى منزلي، وهناك نستطيع الحديث كما نشاء.

ظل أمين صامتا ودقّات قلبه تسارعت شيئا ما، ربّما أحسّ بالحرج مما تفوّه به دون أن يدرك خطورته، أو لعلّه لأول مرّة يذهب برفقة امرأة إلى منزلها.

ركّنت سميرة السيّارة بجانب منزلها وأردفت قائلة:

ـ وأخيرًا وصلنا.

خرجت سميرة من السيارة وتبعها أمين فورا، ثم اتّجهت إلى المنزل وفتحت الباب وأشارت بيدها قائلة:

ـ تفضّل بالدّخول يا صديقي!

دخل أمين وهو يتأمل كل شيء وقع بصره عليه، من تماثيل موضوعة في أركان المنزل، وثريا كبيرة تزيّن بهو المنزل، وصور معلّقة على الجدران.

تركت سميرة أمين بالبهو وسارعت إلى المطبخ وأحضرت صحنين من الطعام ووضعتهما فوق الطاولة، ثم عادت تحمل في يديها كأسين من عصير البرتقال، وذهبت للمرّة الثالثة لتحضر السلاطة، ثم نادت على صديقها فجلسا في جوّ رومانسي وأخذا

يتبادلان أطراف الحديث، وكانت هي من بادرت إلى كسر الصّمت سائلة إياه:

ــ هل أعجبك منزلي؟

ابتسم أمين وأجاب قائلا:

ــ نعم، إنّه رائع حقّا، لقد أحسنت تنظيمه بشكل يلفت الأنظار.

شكرتْ سميرة زميلها وأضافت قائلة:

ــ أتمنى أن يكون قد أعجبك طعامي أيضا.

ابتلع أمين الطعام الذي يبدو أنّه قد أعجبه وردّ:

ــ إنّه لذيذ، والعجيب أنه يشبه طهي أمّي تماما.

أحسّت سميرة بالفرح والسّعادة يغمران قلبها عند سماع مدحه لها، فلم تجد الكلمات المناسبة كي تعبّر عن فرحها واكتفت بالقول:

ــ شكرا جزيلا لكَ يا صديقي العزيز !

سافر أمين بأفكاره بعيدا وأخذ يفكر فيما قالته له سميرة أوّل مرّة عندما دخل المختبر، وبالضبط حينما

أخبرته أنه يمنع عليهم ولوج الطابق الثاني تحت أرضي، الأمر الذي أثار فضوله، وعلى ما يبدو أنه لم ينس الموضوع بعد، وحينذاك لاحظت سميرة غياب ذهنه عن حفل الغذاء الذي أقامته من أجله، فسارعت إلى سؤاله:

ـ فيم تفكّر يا أمين؟

عاد أمين إلى الواقع مجدّدا وأجاب بكلّ صدق:

ـ في الحقيقة كنت أفكّر في الطابق الثاني تحت أرضي، وأريد أن أعرف لماذا يمنع علينا الدّخول إليه.

توقفت سميرة عن تناول الأكل وكأنها سمعت أمرا خطيرا، ثم قالت:

ـ يجب عليك أن تنسى الأمر نهائيا، من الأفضل أن لا تعرف.

أحسّ أمين بقليل من الغضب لكنّه سيطر عليه وقال بهدوء:

ـ لا، لا، أنا أريد أن أعرف، فما دمنا نعمل هناك فيجب أن ندرك كل ما يحصل هناك حتى نستطيع العمل في أحسن الظروف.

ـ أتّفق معك تماما، لكن أحيانا ينبغي أن لا نعرف كلّ شيء حتى لا نقع في مشاكل نحن في غنى عنها.

ـ أنا أريد أن أعرف ما الذي لا يريدوننا أن نعرفه، لكن هل تعرفين كيف يمكننا الدخول إلى هناك؟ هل تستطيعين مساعدتي إن كنت حقا صديقك؟

أحسّت سميرة بالحرج وفكّرت لوهلة قبل أن تجيبه وعلامات الخوف بادية عليها:

ـ حسنا، سوف أمدّك ببطاقة خاصة للدخول إلى هناك بنفسك، وأرجو أن لا تنسى أن ذلك قد يشكل خطرا كبيرا على حياتك، فكلّ الذي يمكن أن أقوله لك هو أن لا تنسى أننا نريد العودة جميعا إلى الجزيرة دون أيّة مشاكل، هل فهمت ما أريد قوله؟

ـ أجل يا صديقتي، لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام.

حاولت سميرة رسم الابتسامة على شفتيها لكنها لم تستطع نظرا للخوف أو الحزن الذي بداخلها، فغيّرت الموضوع قائلة:

ـ تمتّع بمذاق الطعام و لا تفكّر في أي شيء آخر يبعنا عن الجو الرومانسي الذي نعيشه في هذه اللحظات.

تبسّم أمين وتابع تناول الأكل والفرح عاد إلى قلبه بعد أن قبلت مساعدته، ثم شكرها على ثقتها به.

حاولت سميرة نسيان ما طلبه أمين منها نظرا لخطورة النتائج التي قد تترتب عن دخوله إلى ذلك الطابق نظرا لقلة تجربته وعدم احتكاكه بأناس العالم الخارجي وجهله بمكائدهم الكثيرة.

عادت سميرة إلى الحديث مع صديقها قائلة بنبرة حزينة نوعا ما:

ـ فيما يخص سؤالك سابقا عن المواد التي أحضرناها من كواكب أخرى، فإننا نتوفر على العديد من الأنواع وستجدها في المختبر في غرفة خاصة هناك، لكن هل هناك من أمل فيها؟

رفع أمين رأسه ونظر إليها قائلا:

ـ أظن أنّها قد تنفعنا، إنني أبحث عن عنصر كيميائي أتمنى أن أجده في تلك المواد غير الأرضية.

ـ أتمنى لك التوفيق في مهمتك يا صديقي.

تابع أمين وصديقته سميرة تناولهما الأكل في جوّ شاعري واستمتعا بوقتهما وتحدّثا في كثير من المواضيع دون أية قيود وبصراحة كاملة.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت السّاعة تشير إلى منتصف الليل من اليوم التالي، وكان أمين منهمكا في عمله إلى جانب زميله عبد الرؤوف، بينما غادرت سميرة المختبر منذ نصف ساعة، لكن لم تتأخر طويلا وعادت من جديد إلى المختبر واقتربت من صديقها أمين ووضعت في جيب وزرته بطاقة خاصة دون أن يشعر عبد الرؤوف بها، بينما انتبه إليها أمين الذي شكرها بغمزة من عينه مع ابتسامة سريعة، ثم عاد إلى العمل حتى يخفي الأمر عن زميله عبد الرؤوف الذي ظل منشغلا في بحثه.

لم تمر سوى دقائق حتى غادر أمين المختبر واتّجه نحو المصعد، قاصدا الطابق الثاني تحت أرضي ودقّات قلبه تتسارع لأنّه يتّجه نحو المجهول، وليس لديه أدنى فكرة عمّا قد يجده هناك من مفاجآت، لكن لا داعي للعجلة، فالأمر صار وشيكا كي يتضح ويزول بذلك الغموض الذي يلف بالموضوع.

توقف المصعد في الطابق المقصود، وانفتحت بابه، فخرج أمين من هناك والعديد من التساؤلات تتبادر إلى ذهنه، ووجد نفسه في رواق شبيه بالرواق الذي شاهده عندما ذهب إلى المكتبة، حيث تابع السير بخطى بطيئة وهو ينظر خلفه خوفا من أن يفاجئه أحدهم، إلى أن وصل أمام باب حديدي، ففتحه باستعمال البطاقة الخاصة التي وهبته سميرة منذ لحظات.

لقد كان المكان مضاءً بضوء أخضر خافت، وأخذ يتفحّص المكان حتى تيقّن أن المكان خال من الحرّاس، فتابع سيره إلى أن وجد غرفا عديدة ويتوسّط كل غرفة شباكا حديديا، وبداخل كل غرفة يوجد سرير ينام عليه شخص واحد.

تعجّب أمين من الأمر وأحسّ بالخوف لكن سرعان ما تخلّص منه، واقترب من شباك إحدى الغرف ونادى بصوت منخفض:

ـ هاي، أنتَ، من تكون؟

سمع الشخص المجهول صوت أمين وقام من السرير وتقدّم نحو الشباك الحديدي وقال باللغة الاسبانية:

ـ أنا اِسمي "أنخيل"، وأنتَ من تكون؟

ظهر الذهول على أمين عند سماع "أنخيل" يتكلّم باللغة الاسبانية، لقد كان في العشرين من عمره، كان متوسط القامة، ذا بشرة بيضاء وشعر أسود اللون، فما كان على أمين سوى استجلاء الحقيقة بطرح المزيد من الأسئلة:

ـ أنا اسمي أمين، وما الذي جاء بك إلى هنا؟ وهل تطوّعت من أجل إجراء التجارب عليك؟

صعق أنخيل عندما سمع كلام أمين وأحس برجفة تسري في شتى أنحاء جسمه من شدة الخوف، وتزايدت دقات قلبه، ثم حاول الجواب قائلا بصوت مرتفع شيئا ما:

ـ لقد تم اختطافي منذ عدّة أشهر كباقي الأشخاص الموجودين هنا، ولم أعرف السبب إلى أن أخبرتني أنهم يريدون إجراء تجارب علينا، ما نوع التجارب التي يريدون القيام بها؟ ولماذا تم اختيارنا نحن بالضبط؟ ولماذا لم يخبرونا بأي شيء؟ ومن..

قاطعه أمين قائلا:

ـ اخفض صوتك يا "أنخيل"، فأنا جئت إلى هنا دون علم الآخرين، إني أريد المساعدة فقط، اهدأ من فضلك وتكلّم بصوت منخفض حتى لا يفتضح أمري، هل فهمت؟

ـ حسنا، من كلامك أفهم أنك لست من أولئك الغرباء الذين يحاولون إبادة الإنسان فوق هذه الأرض، أليس كذلك؟

فهم أمين فهما تاما ما يقصده الشاب "أنخيل" من كلامه، وأحسّ بالذنب يحرق خلاياه من الداخل، وأجاب مخفيا الحقيقة:

ـ طبعا أنا لست من الغرباء، اطمئن، إني أريد المزيد من المعلومات عن هؤلاء الذين سميتهم الغرباء، وهل يشكلون خطرا كبيرا؟

ـ ألم تسمع بالحكومة العالمية التي تحكم العالم؟ إنهم أكيد هم من يسيرون دواليب الحكم في العديد من الدول إن لم نقل كلّها، وهم طبعا من أشعل الحرب العالمية الأولى والثانية، وهم من سيشعل قريبا الحرب العالمية الثالثة من أجل تحقيق أغراضهم الخاصة، إنهم أناس يتحكمون أيضا في الاقتصاد العالمي وهم من يخطط لمسار الشعوب المستضعفة وهم من يقوم باغتيال كل من يعارض سياستهم بل يقتلون كل من يفكّر بشكل مغاير لسياستهم التي رسموها منذ زمن بعيد جدّا، والأخطر أننا لا نعرف الشيء الكثير عنهم.

تابع أمين كلام "أنخيل" بتمعن والحيرة بادية على وجهه، فالكلام طبعا كان يمس سكان الجزيرة المجهولة، والغريب أنه لم يتوقع أن يسمع مثل هذا الكلام الخطير، حيث تسرّب إليه الشك بل بدا شبه متيقن مما قاله "أنخيل"، خصوصا أن إخفاء مثل هذه

الأمور عليه يزيد من مصداقية ما قاله الشخص الأجنبي، وهو ما جعله في موقف لا يحسد عليه، وأحسّ بضرورة مساعدته هو ومن معه من أشخاص آخرين على الهروب من هناك حتى وإن كان اتخاذ القرار صعبا جدا، فتدخل قائلا:

ـ لقد نسيت أن أسألك من أي بلد أتوا بك إلى هنا؟

أجاب "أنخيل" باقتضاب:

ـ من المكسيك.

ثم سأل أمين بنظرات غريبة قائلا:

ـ وأنتَ أي عمل تقوم به هنا؟ وهل ستساعدنا على مغادرة هذا المكان؟

ردّ أمين محاولا إخفاء هويته الحقيقية:

ـ أنا طبيب باحث حصلت على عمل هنا، لكن لا تقلق سوف أعمل على إنقاذكم في أقرب وقت ممكن، أما الآن يجب علي أن أعود إلى العمل حتى لا يكشفوا أمري.

ـ حسنا، كما تشاء، أتمنى أن لا تتخلى عنّا، فأنا لديّ أصدقاء هنا في أمريكا، فإذا قمت بإخراجنا من هذا المكان سوف يساعدوننا في العودة إلى المكسيك ويمكنك القدوم معنا إن شئت.

نظر أمين بسرعة يمينا ويسارا ثم قال:

ـ سوف أفكّر في الأمر، عليّ أن أغادر الآن، إلى اللقاء !

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

غادر أمين الطابق الثاني تحت أرضي بسرعة وعلامات الدهشة والقلق بادية على ملامح وجهه، وفي قرارة نفسه العديد من الأسئلة التي جعلته حائرا وشارد الذهن. تابع أمين سيره باتّجاه غرفته

كي ينفرد ولو قليلا بنفسه حتى يرتّب أفكاره وتهدأ روحه.

دخل أمين إلى غرفته وكانت الساعة تشير إلى الواحدة وعشر دقائق بعد منتصف الليل، نزع حذاءه كالعادة واستلقى على ظهره فوق السّرير وبدأت الأفكار

تتلاعب به، لماذا تم إخفاء أمر مهم وبغاية الخطورة دون أن يخبره السيد ربيع بذلك؟ وهل ما قاله الشاب أنخيل صحيح؟ ولما لا يكون كذلك؟ وهل سيخبر صديقته سميرة بالأمر أم لا؟ وهل سيحاول الفرار مع أنخيل وأصدقائه وينسى أمر حياته في الجزيرة؟ وما الذي سيجنيه من ذلك كله؟

كلّ هذه الأسئلة وغيرها تبادرت إلى ذهنه، ولم يستطع أن ينسى ما قاله له ذلك الشاب المكسيكي، لكن في النهاية قرّر أن يتحدّث إلى زميلته سميرة لعلّها تخبره بحقيقة مغايرة لما سمعه من الشاب أنخيل، فالحديث معها ربما سوف يوضح له الأمر أكثر ويسهل عليه اتخاذ قرار ربما لن يندم عليه.

قام أمين من السرير وحمل كتابا من الطاولة وأخذ يبحث فيه لعلّه يجد حلا للإشكالية التي جاء من أجلها إلى هذا العالم الخارجي، فالتفكير هو الوسيلة الوحيدة التي ستمكنه من التوصل إلى اختراع المادة الكيميائية التي ستمكن سكان الجزيرة من الاستغناء عن الأكل بصفة نهائية.

تابع أمين قراءته للكتاب لأكثر من ساعة من الزمن، وفي النهاية أغلق الكتاب وهو يبتسم من شدّة الفرحة التي ظهرت حتى على عينيه، فربّما اكتشف طريقة الحصول على تلك المادة الكيميائية، لذلك وضع الكتاب على الطاولة ولبس الحذاء وخرج من الغرفة، ثم ولج المصعد باتّجاه المختبر حيث كانت سميرة منهمكة في عملها، وبمجرّد أن شعرت بدخول الشاب أمين إلى هناك رفعت رأسها واتّجهت نحوه قالت له بصوت منخفض:

ـ لقد جعلتني قلقة عليك، أين كنت هذه المدّة كلّها؟

ابتسم أمين وأجاب وهو ينظر مباشرة في عينيها:

ـ لا داعي للقلق، كل شيء على ما يرام، لقد كنت في غرفتي أقرأ أحد الكتب.

ـ كنتَ تقرأ وأنا أنتظر عودتك من ذلك الطابق المشؤوم.

ـ أنا آسف، لديّ خبران، الأول مفرح والثاني محزن، بماذا تريدين أن أبدأ؟

شعرت سميرة بالفضول وردّت:

ـ ابدأ بالخبر السّار، هيّا أخبرني !

ـ حسنا، أظن أنّني اكتشفت أمرا مهما فيما يخص العنصر الكيميائي الذي سوف يمكّننا من تحقيق هدفنا.

اتّسعت حدقة عين سميرة عند سماعها الخبر وقالت:

ـ هذا أمر جيد، لكن ما هو الخبر الثاني السيّء؟

نظر أمين إليها نظرة نارية وسألها:

ـ هل تعرفين ما يحدث في الطابق الثاني تحت أرضي؟

فكّرت سميرة لبرهة قبل أن تجيب بارتباك:

ـ أعتقد أن الأمر يتعلّق بمجموعة من المتطوعين الذين سيخضعون للتجارب عندما تنتهي من أبحاثك التي جئت من أجلها إلى هنا.

غضب أمين غضبا شديدا وأمسك بذراعها وسألها بقوة:

ـ هل هم متطوِّعون أم مختطَفون؟ أجيبيني بكلّ صراحة !

شعرت سميرة بالخوف بسبب الغضب الذي انتاب صديقها وأجابته:

ـ أجل، إنهم مختطفون، فغايتنا هو أن نصل إلى نتيجة ترضي حكام جزيرتنا وتنفع سكانها أيضا بما فيهم أنا وأنت، هل فهمت؟

هدأ أمين وسيطر على غضبه حينما سمع جوابها، وتأكد في قرارة نفسه أن كلّ ما قاله الشاب المكسيكي هو صحيح، وردّ قائلا:

ـ نعم لقد فهمت.

أمسكت سميرة بيد أمين وخاطبته قائلة:

ـ يجب أن تثق بي، فأولئك المختطفون أعداؤنا و يجب أن لا تثق بهم أبدا، فنحن نعرفهم أكثر مما تعتقد، فقد يستطيعون إيهامك أنّهم على صواب لكن الخداع هو فن من فنونهم، لهذا أطلب منك أن تكون حذرا منهم.

تظاهر أمين أنه صدّق كلامها وقال لها أنه سيكون حذرا منهم وأن لا يثق فيهم، ثم أخبرها بأنّه سيذهب للتأكد من المعلومة التي توصّل إليها بخصوص العنصر الكيميائي الذي سيغير حياة سكان الجزيرة.

هذه المرة لم يشعر أمين بالنعاس كما حدث معه سابقا، ربما لحزنه عما حدث للشاب المكسيكي وأصدقائه، أو لعل ذلك يرجع للفرحة التي غمرته عند اقترابه من حلّ إشكالية أبحاثه العلمية. لا يهم الأمر أن نعرف سبب عدم شعوره بالنوم، لكن الأهم هو أنه أخذ مجموعة من المواد التي تم إحضارها سابقا من كواكب أخرى وبدأ يفحصها فحصا دقيقا لساعات إلى غاية استخراج مادة كيميائية مزجها مع عناصر كيميائية أخرى التي سبق وتم التوصل إليها من طرف الباحثة سميرة وزميلها عبد الرؤوف وغيرهما من الباحثين الآخرين.

لقد كان يقوم بعدّة تجارب كي يتحقّق من تأثير تلك التركيبة الكيميائية النهائية على خلايا جسم الإنسان ولو بصورة تقريبية قبل تجربتها بشكل نهائي على المختطفين الموجودين بالطابق الثاني تحت أرضي.

أحسّ أمين بالفرح الشديد بسبب ما توصّل إليه كما شعر بالدهشة مما لاحظه من نتائج باهرة لم يكن يتوقعها بهذه السرعة والسهولة، لكن ذكاءه وخبرته

ساعداه على تحقيق تلك النتيجة الباهرة في وقت قياسي لم يسبق لعالم أن قام بمثل هذا الإنجاز.

ألقى أمين نظرة على ساعته الإلكترونية التي كانت تشير إلى السادسة صباحا، ولم يتبق أمامه سوى إعداد تلك المادة الكيميائية التي اخترعها ووضعها في إبر بمقدار معين ودقيق كتمهيد لتجربتها على الإنسان للتحقق من نتائجها بصفة نهائية، لكنّه قرر إنهاء الأمر لاحقا من اليوم التالي بعد إخبار السيد ربيع بنتيجة أبحاثه الأخيرة، فغادر المختبر الذي كان قد ظل فيه لوحده بعدما أن غادرته سميرة قبله في وقت سابق، وعاد إلى غرفته ليستريح بعد يوم كان حافلا بالأحداث سواء الإيجابية منها أو السلبية.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كان أمين يغط في نوم عميق بعد ليلة طويلة من الجدّ والعمل، وفجأة فتح عينيه بعدما سمع طرق الباب وصوت ربيع يناديه:

ـ افتح الباب يا أمين !

قام أمين من السرير والتعب يظهر عليه من شدّة السهر والعمل ليلا، ثم فتح الباب وقال:

ـ مرحبا يا ربيع ! تفضل بالدخول.

ولج السيد ربيع الغرفة وأغلق الباب وراءه وقال:

ـ يبدو أنك أمس عملت حتى وقت متأخر، أليس كذلك؟

أجاب أمين وهو يفرك عينه اليمنى:

ـ نعم، لقد كنت مشغولا بإنجاز اختبارات في غاية الأهمية.

جلس أمين على السرير بالقرب من ربيع وأضاف:

ـ يسعدني أن أخبرك أنني قد توصّلت إلى اختراع المادة الكيميائية التي ستغير حياة سكان الجزيرة.

تفاجأ السيد ربيع مما سمعه ووقف ثم قال:

ـ لقد فعلتها، كنت متأكدا من هذا الأمر، إنه خبر سار وأتمنى أن تسير الأمور جيدا حتى النهاية، فالعبرة عندما نقوم بتجريبه على المتطوعين كي نتأكد من نتائج بحثك.

ـ أجل، أجل، هذا ما كنت أريد قوله، سوف أعمل خلال الأيام الثلاثة على إعداد عينات عدّة من تلك المادة الكيميائية قصد تجربتها على المتطوعين، وذلك بمساعدة زميلي عبد الرؤوف وزميلتي سميرة.

ـ سوف تجدون كل ما ستحتاجون إليه من لوازم للقيام بعملكم في أحسن الظروف، وإن احتجت إلى شيء إضافي أو إلى أي معلومة، فما عليك سوى إخباري وسوف أكون رهن إشارتك، هل فهمت؟

ـ نعم، إننا نعتمد عليك يا ربيع، شكرا لك على مساعدتك.

دعنا من العمل الآن يا أمين، ألا تشعر بالجوع؟

ـ أجل، فلم أتناول الطعام منذ البارحة.

خطا السيد ربيع خطوات بطيئة باتجاه الهاتف الثابت وحمل السمّاعة وطلب وجبة الغذاء، ثم عاد وجلس بجانب الشاب أمين وربّت على كتفه قائلا:

ـ كنّا نعقد آمالا كبيرة عليكَ يا أمين، ونحمد الله على تحققها، ونتمنى أن تسير الأمور على ما يرام حتى النهاية.

ـ شكرا على ثقتكم، وأتمنى أن تنتهي التجارب دون أية مشاكل.

ـ لا أشك في ذلك، فلطالما فاجأتنا في العديد من المناسبات منذ أن كنت طفلا صغيرا. فالذكاء له عوامل عدة ومن أهمها العامل الوراثي كما أثبت العلم ذلك، أليس كذلك؟

ـ طبعا، العامل الوراثي يلعب الدور الأهم بالمقارنة مع العوامل الأخرى التي تظل نسبية فقط.

ـ الآن صار الأمر مؤكدا، وخصوصا مع اختراعك الأخير، فلم يعد هناك أي شك في هذا الشأن.

ظل الاثنان يتحاوران وضحكاتهم تسمع من خلف الباب في الرواق المجاور للغرفة، إلى أن أحضر العامل الطعام وتركه فوق الطاولة كما فعل من قبل، وانصرف إلى عمله تاركا كلا من السيد ربيع وصديقه أمين يتناولان وجبة الغذاء في سلام.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

استغرق كل من الشاب أمين، وزميليه عبد الرؤوف وسميرة، مدة ثلاثة أيام في إعداد بضعة عينات من تلك المادة الكيميائية، التي ستغير حياة سكان الجزيرة، كما قاموا بإجراء اختبارات تجريبية على الأشخاص المتطوعين أو المختطفين، وفي اليوم الرابع التالي تبين نجاح التجربة، حيث لم يتناول أولئك الأشخاص الطعام خلال تلك المدّة دون إحساسهم بالجوع ودون أي مضاعفات على أجسامهم، الأمر الذي شجّع أمين على الإسراع في مساعدتهم على الهروب من المختبر حتى يرجعوا إلى بلدهم، لذلك قرّر أن يحاول إقناع صديقته سميرة كي تقوم معه بتنفيذ خطة الفرار، وخاصة أنها تملك السيارة، وكذلك لأن الحراس يثقون فيها مما سيجعل عملية الهروب سهلة، لذلك استغل فرصة غياب زميله عبد الرؤوف خلال فترة الاستراحة واقترب منها قائلا بحنان:

ـ حبيبتي ! أريد أن أطلب منك شيئا وأتمنى أن لا ترفضي طلبي.

رسمت سميرة ابتسامة على شفتيها عند سماعها لكلام صديقها، واقتربت منه وسألته:

ـ ماذا تريد يا عزيزي؟

ـ سوف يبدو لك الأمر غريبا في البداية، لكن أرجو أن تفكري بهدوء قبل أن تقرري، هل أنت موافقة؟

فكّرت سميرة لبرهة وشعرت أنه سيطلب منها أمرا صعبا، لكن كيف لها أن ترفض طلبه وهي أصبحت متيّمة به:

ـ حسنا، ما الذي تريده؟ هيّا، أخبرني.

أمسك أمين يدها اليسرى وقال:

ـ إني قررت مساعدة أولئك الأشخاص المختطفين، فكما تعلمين فإن التجربة نجحت دون أي إشكالية تذكر، فلماذا لا نساعدهم في الفرار من هنا ونذهب معهم إلى المكسيك ونعيش معا هناك.

تفاجأت سميرة نوعا ما من طلب أمين، وتمتمت قائلة:

ـ أنتَ تعلم أنني أحبك كثيرا ولا أريد أن تضيع من بين يدي، هل فكرت في العواقب التي ستنتج عن عملية الهروب؟ سوف تعيش بقية حياتك بعيدا عن أسرتك وربما لن تستطيع العودة إلى الجزيرة أبدا.

ـ أجل، لقد فكرت مليّا في النتائج، لكن المهم الآن هو مساعدتهم، فقد وعدتهم بذلك ولا أستطيع أن أتراجع عن قراري، وأتمنى أن لا أكون مخطئا في هذا القرار.

نظرت سميرة إلى صديقها وأضافت:

ـ وأنا أيضا أتمنى أن لا تكون مخطئا، لكن ما عساي أن أفعله، إنني مغرمة بك وسوف أفعل كل ما ستطلبه مني.

أحس أمين بالفرح والسعادة تغمره فقبلها وقال:

ـ اسمعي جيّدا، هل تتوفرون هنا على عينات من اللقاح ضد جميع الأمراض؟

تردّدت سميرة بضعة ثوان قبل أن تجيبه:

ـ نعم، نعم، إننا نحتفظ ببعض العينات في الغرفة هناك.

ـ إذن اذهبي وأحضريها ولا تنسي بضعة عينات من اختراعي الأخير، فسوف نقوم بتلقيح أنفسنا قبل أن ننفذ خطة الهروب، هل فهمت؟

ابتسمت سميرة وقالت:

ـ أنتَ تفكر في كل الاحتمالات، لم أظن أنك بهذا الذكاء الباهر.

أنهت سميرة كلامها وأسرعت لإحضار العينات دون تأخير.

دخلت سميرة إلى الغرفة وخبّأت العينات في حقيبة وضعتها على كتفها الأيسر، وخرجت من هناك فورا، بينما كان أمين في انتظارها بالمختبر، وما أن اقتربت منه طلب منها أن تقوم بتلقيحه، كما قام هو بنفس الشيء معها دون أن يضيعا الكثير من الوقت، وغادرا فورا المختبر معا، حيث ذهبت سميرة إلى المرآب بالطابق السفلي وجلست داخل السيّارة في انتظار قدوم حبيبها أمين.

لم يتأخر الشاب أمين في الوصول إلى الطابق الثاني تحت أرضي، وقام بمساعدة الشاب أنخيل وإخراجه من الغرفة التي حبس فيها، كما أخرج ثلاثة أشخاص آخرين من الغرف المجاورة لغرفة أنخيل.

نظر أمين إلى الغرف الأخرى وقال:

ـ أنا آسف، لن نستطيع إنقاذ الجميع، فالسيارة لا تتسع للجميع كما تعرف يا أنخيل، هيا بنا !

شعر أنخيل بالحزن وعلّق قائلا:

ـ سوف نحاول إنقاذهم فيما بعد، هيا بنا يا أصدقاء !

وهكذا توجه الجميع إلى المرآب حيث كانت سميرة بانتظارهم، وعلامات القلق بادية عليها، لم يكن أمامها الكثير من الخيارات على ما يبدو، لكنها ظلت قوية وتحلّت بالصبر إلى أن رأت حبيبها أمين وباقي الرفاق، إذ جلس أمين بالجانب الأيمن لحبيبة قلبه، بينما جلس الأربعة الآخرون في المقعد الخلفي للسيارة والخوف تسرّب إلى قلب كل واحد منهم، لكن سرعان ما تغلبوا عليه خاصة عندما تجاوزوا حاجزا الحراس دون مشاكل لحسن حظهم.

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت الساعة تشير إلى السادسة مساء من اليوم التالي، وكان هدوء غريب يسود الجزيرة المجهولة، كان الجنرال سفيان يجلس كالعادة فوق الأريكة في

البهو يقرأ رواية الخيال العلمي بعنوان "المدينة المتاهة"، لقد كان يهوى ذلك النوع من الروايات منذ أن كان طفلا صغيرا، فهوايته المفضلة هي قراءة الكتب وخاصة كتب الخيال العلمي. كان مسافرا بعيدا بخياله حتى فاجأه طرق الباب، فقام من مكانه وخطا خطوات ثقيلة نوعا ما، ثم فتح الباب فوجد السيد سعيد الذي يعمل في المخابرات، فابتسم سفيان وطلب منه الدخول:

ـ تفضل بالدخول يا سعيد !

دخل سعيد وعلامات القلق بادية على ملامح وجهه، وأغلق الباب من ورائه.

نظر سفيان إلى صديقه سعيد نظرة حائرة سأله:

ـ ما الذي جاء بك إلى هنا دون موعد يا سعيد؟

احمرّ وجه سعيد وطأطأ رأسه قائلا:

ـ لقد هرب الشاب أمين يا سيدي !

لقد كان لكلام سعيد وقعا قويا على مسامع الجنرال سفيان، حيث صمت ثوان قبل أن ينفجر غاضبا:

ـ لقد وثق بهم رغم تحذيري له، يبدو أنني لم أستطع إقناعه، لكن سوف يندم على ما فعل..

قاطع السيد سعيد حديثه وسأله:

ـ هل تريد أن نقوم بإجراء التحريات فورا؟

ـ لا، لا داعي للعجلة، فقط انتظر تعليماتي.

ـ كما تشاء يا سيدي !

▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲ ▲

كانت سيّارة سميرة مركونة بجانب أحد البيوت في ولاية "أريزونا" الأمريكية، وبعد ساعات من الحوار والاستراحة خرج الشاب أمين وحبيبته سميرة، وبرفقتهما الأصدقاء الجدد من المكسيك، وتناول بعض منهم الطعام والشراب، فيما اكتفى الآخرون بشرب الماء، وبعد كل ذلك تفرّق الجميع إلى فريقين اثنين، كل فريق ركب في سيارة مستقلة، واتّجه الجميع إلى دولة المكسيك...

يُتبع الجزء الثاني: الجزيرة المجهولة 2 ـ نهاية البشرية